
KÖPRÜLÜ KÜT.
256


KÖPRÜLÜ KÜT.
256



1.

كتاب بغية الرائد
لما في حديث ام زرع من الفوائد

تاليف القاضي الفقيه ابي الفضل
عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رحمه
الله تعالى
امين



٢٥٦



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وسهل

انا الفقيه الامام الحافظ فخر الحفاظ ناصر السنة شرف الدين ابو الحسن علي بن ابي المكارم المفضل
ابن علي المقدسي رضي الله عنه اجازة قال اجاز لي جماعة من اصحابنا من القدماء منهم ابو القاسم خلف بن
عبد الملك بن بشكوال الانصاري وابو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي وابو الوليد زكريا
ابن عمر بن احمد الانصاري وابو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري وابو محمد عبد الله بن محمد
ابن عبد الله الحجري وابو بكر محمد بن جبير بن عمر الاشبيلي قالوا انا الفقيه الاجل
القاضي الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى قال

الحمد لله رب العالمين وافضل صلواته على مصطفاه محمد خاتم النبيين
وقفت ادام الله توفيقك ونهج لمهيع الحق طريقك على ما سألت عنه من حديث
ام زرع وتفسير مشكل معانيه واعراضه وفتح مقفل غريبه والفاظه
فاستعنت الله على اجابتك واستمددته التوفيق الى الصواب من قصد ارادتك
والله يعصمك كلا بتقواه ويسبغ عليك النعماء بعزته لا اله سواه ورأينا
ان نبتدي بالحديث وسياقة متنه مع اختلاف الفاظ نقلته وزيادة
بعضهم على بعض في سرده ثم نذكر بعد ذلك علة اسناده وشرح غريبه وغوامض
اعرابه ومعاني فصوله وما يتعلق به من فقه وتنفتح منه من فائدة
ونتجه فيه من وجه بحول الله تعالى وطرقنا في هذا الحديث كثيرة
متشعبة جئنا ببعضها عن ائمة شيوخنا وبعضهم يزيد على بعض وفي
متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات وتقديم وتاخير فجئنا باكملها
رواية واحسنها سياقة ثم نقدم اشهر اسانيدنا فيها ابتداء للابتداء
واستظهارا لمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الاسلاف ونبهنا
على موضع الخلاف فيها مما يفيد فائدة او يزيد فقرة شاردة ونثر
زيادات من غير الطرق التي ذكرناها جلبنا بعضها ونبهنا على ما امكن
منها والله ولي التوفيق نا الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الرحمن بن محمد
بن عتاب قراءة مني عليه قال نا ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي
قال نا ابو الحسن علي بن خلف القابسي الفقيه ونا الشيخ الحافظ ابو علي
الحسين بن محمد الغساني فيما كتب به الي قال نا القاضي سراج ابن عبد الله
قال نا ابو عبد الله بن ابرهيم الاصيلي قالا نا ابو زيد محمد بن احمد المروزي

قال

2

قال نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل قال نا سليمان بن عبد الرحمن
وعلي بن حجر قالا نا عيسى بن يونس نا هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة
عن عروة عن عائشة قالت جلس احدى عشرة امرأة ح ونا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قراءة مني عليه فاقر به وشيخنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ وغير واحد قالوا نا ابو مروان بن سراج الحافظ
قال نا ابو القاسم الزهري قال نا ابو زكريا بن عائذ ح ونا ابو اسحاق ابرهيم
بن جعفر الفقيه قراءة مني عليه نا القاضي عيسى بن سهل قال نا ابو عبد الله
بن عتاب نا ابو المطرف القنازعي نا ابو عبد الله محمد بن يحيى قالا نا احمد بن خلد
قال نا علي بن عبد العزيز نا ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن ابي معشر
عن هشام بن عروة وغيره من اهل المدينة عن عروة عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتمعت احدى عشرة امرأة وقرات على
القاضي الشهيد ابي علي الحسين بن محمد الحافظ حدثكم الامام ابو القاسم عبد الله
ابن طاهر البلخي عن الشيخ ابي بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المغربي والفقيه
ابي عبد الله محمد بن احمد المحمدي والقاضي ابي علي الحسين بن علي بن محمد الوخشي قالوا
انا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة انا الحافظ قال نا علي بن حجر
انا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة
عن عائشة قالت احدى عشرة امرأة . وانا الشيخ ابو محمد عبد الرحمن بن محمد
العتابي قال حدثني ابي قال انا ابو محمد عبد الله بن ربيع التميمي قال نا
ابو بكر محمد بن معاوية القرشي قال نا ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب
اخبرني ابرهيم بن يعقوب نا عبد الملك بن ابرهيم نا محمد بن محمد ابو نافع
نا القاسم بن عبد الواحد حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن
عائشة قالت فخرت بمال ابي في الجاهلية وكان الف الف اوقية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اسكتي يا عائشة فاني كنت لك كابي زرع لام زرع
ثم انشأ يحدث الحديث ونا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الصدفي والفقيه
ابو بحر سفيان بن العاص الاسدي سماعا عليهما وغير واحد قالوا نا الشيخ ابو
العباس احمد بن عمر العذري قال نا ابو العباس الرازي انا الفقيه ابو محمد عبد الله بن ابي

جعفر بقرائتي عليه وغيره قالوا انا امام الحرمين ابو عبد الله الطبري قال انا عبد الغافر
بن محمد الفارسي قال هو والرازي نا ابو احمد الجلودي قال نا ابرهيم بن محمد بن سفيان نا
مسلم بن الحجاج نا علي بن حجر السعدي واحمد بن جناب كلاهما عن عيسى بن يونس نا
هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة وبعضهم يزيد على
بعض ولبعضهم زيادة من غير هذه الطريق واكثرها غرائب وزيادات ملحقة من
ابن الانباري من رواية الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة انها قالت جلس احدى عشرة
امرأة في الجاهلية وفي رواية اجتمعن وفي اخرى جلسن ونسوة مكان امرأة
ووقع في بعض طرق النسائي جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن وقال
بعضهم ان يتصادقن ولا يكتمن من اخبار ازواجهن شيئا قالت الاولى زوجي
لحم جمل غث ويروى تحز على راس جبل وعر ويروى وعث لا سهل فيرتقى
ولا سمين فينتقى ويروى فينتقل وفي بعض الروايات على راس قوز وعث
ليس بلبد فيتوقل ولا سمين فينقل ولا لي عنده معول ويروى ولا له عندي
معول قالت الثانية لا ابث خبره ويروى انث ويروى انبث اني اخاف الا
اذره زاد بعضهم ولا ابلغ قبته ان اذكره اذكر عجره وبجره قالت الثالثة
زوجي العشنق ان انطق اطلق وان اسكت اعلق وفي رواية على حد السنان
المذلق قالت الرابعة زوجي كليل تهامة زاد بعضهم والغيث غيث غمامه
لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة ويروى ولا حر ولا وخامة زاد الهيثم ولا خا
خلفة ولا امامة قالت الخامسة زوجي ان دخل فهد وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد وقال
بعضهم ياكل ما وجد ولا يسأل عما عهد ولا يرفع اليوم لغد قالت السادسة زوجي
ان اكل لف ويروى رف بالراء ويروى اقتف وان شرب اشتف ويروى استف وان
اضطجع ويروى هجع التف واذا ذبح اغتث ولا يولج الكف ليعلم البث ويروى
اللبث قالت السابعة زوجي عيايا قال بعضهم او غيايا احمقا طباقا كل داء له داء
شجك او فلك او بجك او جمع كلا لك قالت الثامنة زوجي الريح ريح زرنب والمس
مس ارنب واغلبه والناس يغلب قالت التاسعة زوجي رفيع العماد طويل
النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي زاد بعضهم لا يشبع ليلة يضاف ولا
ينام ليلة يخاف قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك له
ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن

هوالك وفي بعض الروايات وهو امام القوم وفي المهالك وفي بعض الروايات
زوجي ابو مالك وما ابو مالك ذو ابل كثيرات المسالك قليلة المبارك وفي بعضها كثيرة
المسارح قليلة المبارح قالت الحادية عشرة زوجي ابو زرع وما ابو زرع
اناس من حلي اذني وفي رواية فرعي واذني وملأ من شحم عضدي و
بجحني فبجحت الى نفسي ويروى فبجحت نفسي الي ويروى فتبجحت ويروى
اذنيه وعضديه والية وجدني في اهل غنيمة بشق ويروى في اهلي ذات
غنيمة فجعلني في اهل صهيل واطيط ودائس ويروى فجعلني بين حامل
وصاهل ودائس ومنق فعنده اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب
فاتقنح ويروى فاتفتح ورواه بعضهم فاتقمح زاد بعضهم واكل فاتمنح
ام ابي زرع فما ام ابي زرع عكومها رداح وبيتها فساح زاد بعضهم
وفناؤها فياح ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع كمسل شطبة وتشبعه
ذراع الجفرة وفي بعض الروايات ويروى فيقصفها البرة وتميس في
حلق النثرة بنت ابي زرع طوع امها ويروى زين ابيها وزين
امها وغيظ جارتها ويروى عقر جارتها ويروى عبر جارتها ويروى
عبر جاراتها ويروى حبر جارتها ويروى وحر وحبر وصفر ردائها
وملء كسائها ويروى ازارها وخير نسائها زاد الهيثم في روايته برود
الظل وفي الال كريم الخل لا جارية ابي زرع لا تبث حديثنا
تبثيثا ويروى تنث بالنون فيهما ويروى لا تخرج حديثنا تعليسا
ولا تنقل ويروى تفسد ويروى تنكث ويروى تنفث ميرتنا تنقيثا
ويروى تفتيشا ويروى ولا تغث طعامنا تغليثا ويروى تعش طعامنا
تعشيشا ولا تملأ بيتنا تعشيشا ويروى تغشيشا زاد ابن عدي ولا
ولا تنحت عن اخبارنا تنجيثا وزاد ضيف ابي زرع فما ضيف ابي زرع
في شبع وري ورتع طهاة ابي زرع فما طهاة ابي زرع لا تفتر ولا
تعدى تقدم قدرا وتنصب اخرى فتلحق الاخرة بالاولى مال ابي
زرع فما مال ابي زرع على الجمم معكونين وعلى العفاة

محبوبين قالت خرج ابو زرع يوما والاوطاب تمخض وفي رواية ابن
السكيت والوطاب فما تمخض فلقي امراة معها ولدان كالفهدين كالصقرين
يلعبان من تحت خصرها برمانتين ويروى من تحتها ويروى من تحت صدرها
ويروى فمرت بجارية شابة تلعب من تحت درعها فطلقني ونكحها زاد بعضهم تحتا و
فاستبدلت وكل بدل اعور فنكحت بعده رجلا ويروى شابا سريا ركب
فرسا شريا ويروى عربيا ويروى اعوجيا واخذ خطيا واراح على نعما ثريا
واعطاني من كل رائحة زوجا ويروى سائمة زوجا وفي رواية واراح علي من
كل سائمة زوجين ومن ابدة اثنين وفي كتاب مسلم من كل ذي رائحة
وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلو جمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ اصغر انية
ابي زرع ويروي ولو جمعت كل شيء اصبته منه فجعلته في اصغر وعاء من
اوعية ابي زرع ما ملاه قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت لك كابي زرع لام زرع وفي رواية ابن حبيب قالت عائشة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول اذا دعيني يا عائشة كنت لك كابي
زرع لام زرع زاد في بعض الروايات انه طلقها واني لا اطلقك ذكره احمد
بن خالد في مسنده وكذا زاده مصعب الزهري وغيره عن هشام بن عروة
وروى مسدد عن اسمعيل بن ابي اويس عن ابيه عن هشام وقال فيه غير اني
لا اطلقك وفي رواية اخرى كنت لك كابي زرع لام زرع في الالفة و
الوفا لا في الفرقة والجلاء رواها ابن الانباري وهو من معنى الرواية الاولى
وبهذا تتم الفائدة قالت عائشة قلت يا رسول الله بل انت خير لي من ابي
زرع وقد روينا من طريق الزبير بن بكار هذا الحديث بغير سياق من
تقدم وفيه زيادات ومخالفة فرايناه مساقه على نصه نا الفقيه
الحافظ ابو بكر بن محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين
واربع مائة قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال نا
الشيخ ابو الحسين محمد بن عبد الله الاحدي جعفر ابو الحسن الدارقطني قال
الشيخ ابو الحسين والقاضي ابو الحسين بن المهتدي وابو الفضل عبيد الله
بن احمد الكوفي قالا حدثنا ابو العمر عبيد الله بن احمد الصيدلاني المقري و
اللفظ له قالا حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب نا الزبير بن بكار نا

محمد الضحاك

4

محمد ثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الله العزيز محمد عن هشام ابن عروة عن
ابيه عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي
بعض نسائه فقال يا عائشة اما لك كابي زرع قالت يا رسول الله وما حديث
ابي زرع وام زرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قرية من قرى
اليمن كان بها بطن من بطون اليمن وكان منهم احدى عشرة امراة وانهن
خرجن الى مجلس لهن فقال بعضهن لبعض تعالين فلنذكر بعولتنا
بما فيهم ولا نكذب قال فتبايعن على ذلك فقيل للاولى تكلمي فنعتت
زوجها فقالت الليل ليل تهامة والغيث غيث غمامة ولا حر ولا
وخامة قيل للثانية وهي عمرة بنت عمرو قولي فقالت المس مس ارنب
والريح ريح زرنب واغلبه والناس يغلب قيل للثالثة تكلمي وهي حبا
بنت كعب قالت ملك وما ملك له ابل كثيرة المسارح قليلة المبارك
اذا سمعن صوت الصنج ايقن انهن هوالك قيل للرابعة تكلمي وهي
مهدد بنت ابي هرمة قالت زوجي لحم جمل غث على جبل وعث لا سهل فيرتقى
ولا سمين فينتقل قيل للخامسة تكلمي وهي كبشة قالت زوجي رفيع
العماد كثير الرماد قريب البيت من الناد لا يشبع ليلة يضاف ولا يأنم
ليلة يخاف قيل للسادسة تكلمي قالت زوجي كل داء له داء ان حدثته سبك
وان مازحته فلك والا جمع كلا لك قيل للسابعة تكلمي وهي حبا بنت علقمة
قالت زوجي اذا خرج فهد واذا دخل فاسد ولا يسال عما عهد ولا يرفع
اليوم لغد قيل للثامنة تكلمي وهي ابنة دوس بن عبد قالت زوجي اذا
اكل لف واذا شرب اشتف ولا يدخل الكف فيعلم البث قيل للتاسعة
تكلمي قالت زوجي هو من لا اذكره ولا ابث خبره اخاف الا اذره ان اذكره
اذكر عجره وبجره قيل للعاشرة تكلمي وهي كبشة بنت الارقم قالت
نكحت العشنق ان سكت علق وان تكلمت طلق قيل لام زرع بنت اكيمل
بن ساعدة وسماها الدهبي في غير هذا الحديث عاتكة ذكر ذلك في كتابه
المستخرج بالوشاح تكلمي قالت ابو زرع وما ابو زرع اناس من حلي اذني
وملا من شحم عضدي وبجحني فبجحت وجدني في غنيمة اهلي فنقلني الى اهل جامل
وصاهل فبينما انا عنده ايام فلا اقبح فانصبح واشرب فاتقمح واتكلم فلا

اقتح وبنت ابي زرع وما بنت زرع مضجعها مسل الشطبة ويشبعها
ذراع الجفرة وولبسه ابي زرع وما وليدة ابي زرع لا تفسد ميرتنا تفتيشا
ولا تخرج حديثنا تنثيثا فخرج من عندي ابو زرع والاوطاب تمخض فاذا
هو بام غلامين كالفهدين يرمي من تحت خصرها كالرمانتين فتزوجها
ابو زرع وطلقني واستبدل لن تجده وكل بدل اعور فتزوجت شابا
سريا ركب اعوجيا واخذ خطيا واراح نعما ثريا فقال كلي ام زرع وميري
اهلك فجمعت اوعيته فلم تعدل وعاء واحدا من اوعية ابي زرع قالت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لك كابي زرع لام زرع قال ابو بكر الخطيب
هذا حديث غريب لا اعلم رواه هكذا الا محمد بن الضحاك وقال ابو الحسن
الدارقطني وذكر حديث محمد بن الضحاك عن الدراوردي هذا قال وسمى فيه
النسوة ونسبهن قال واتبعه الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن ابيه عبد
الله عن هشام بنحو حديث الدراوردي بربيه ما يذكر عن الزبير بعد هذا
بسنده المقدم عنه فانه قال عنده تمام الحديث قال الزبير وحدثني
عمي مصعب بن عبد الله عن جدي عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة
مثله وزاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لك كابي زرع لام زرع
الا انه طلقها واني لا اطلقك زاد النسائي في مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن
قال ثنا الحارث سعيد بن المثنى ثنا عباد بن منصور عن هشام عن ابيه
عن عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة كنت لك كابي زرع
لام زرع قالت عائشة بابي وامي يا رسول الله بل انت خير لي من ابي زرع
بنحوه
وذكر من حديث عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة التفسير المسند
اختلف في سند هذا الحديث ورفعه مع انه لا اختلاف في صحته وان الائمة
قد قبلوه وخرجوه في الصحاح مسلم والبخاري ومن بعدهما ولا مخرج له فيما
انتهى الينا الا من رواية عروة عن عائشة رضي الله عنها وروي من غير طريق
عن عروة عنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم كله هكذا رواه عباد بن منصور
وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الله بن مصعب الزهري ويونس بن ابي
اسحاق السبيعي كلهم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهكذا رواه ابو معشر عن هشام الا انه قال عن هشام وعن

من

من اهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه
ايضا ابو معشر عن عبد الله بن اسحاق الطلحي عن عائشة واسنده
بطوله وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا انه قال حدثني
عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
قال النسائي عن عروة عن عائشة وقال الدارقطني عن ابيه عن عائشة فجعله كله
من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا من غير اجتماع واسنده بطوله و
هكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن موسى بن اسمعيل المنقري عن
سعيد بن سلمة عن هشام الا انه قال عن هشام عن اخيه عن ابيه عن عائشة
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع
ثم انشا يحدث حديث ام زرع وساق الحديث بطوله وكذا قال احمد
بن داود الحداني عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله
عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حكاه عبيد القاسم
بن سلام وكذلك رفعه الهيثم بن عدي عن هشام الا انه قال عن اخيه
يحيى بن عروة عن عروة وساقه كله من قول النبي صلى الله عليه وسلم نصا.
ورواه علي بن حجر وابن خباب وسليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن جعفر
غندر وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركاني وصالح بن مالك الخوارزمي
عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة عن عروة عن
عائشة من قولها وكذلك اسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن
الحلواني عن ابن ابي الحسام عنه وكذلك رواه ابو عقبة عن ابيه عقبة
بن خالد عن هشام الا انه قال عن هشام عن ابيه عن عائشة وهكذا
قال فيه ابن ابي اويس عن ابيه عن هشام وكذا قال يوسف بن زياد
وسليمان بن بلال وعبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام وابو معاوية
الضرير عنه مختصرا وكذا اسنده داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن
عروة عن عروة وتابعاهما عن ابيه عن عائشة من قولها وقال عقبة بن خالد
ايضا قال هشام فحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثله مختصرا من قوله كنت لك كابي زرع لام زرع
وكذا قال ابو اويس وابرهيم بن ابي يحيى عن يزيد بن رومان عن عروة عن

عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وكذلك رواه ابو الزناد عن
عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عبد الرحمن النسائي بآخر
حديث عقبة يعني آخر الحديث يريد قوله كنت لك كأبي زرع لام زرع وقد
وقع مفسرا عند غير ابي عبد الرحمن فذكر احمد بن عمرو البزار رواية عقبة عن
هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قال احمد وذكر معه حرفا
وقال كنت لك كأبي زرع لام زرع وفي رواية الانباري قال عروة انما يراد
هذا الحديث لهذا الحرف قد ذكره قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
ولا خلاف في رفع قوله في هذا الحديث كنت لك كأبي زرع لام زرع وانما
الخلاف في بقيته وقد قال ابو بكر بن ثابت الخطيب المرفوع من هذا الحديث
الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة كنت لك كأبي زرع لام زرع
وما عداه فمن كلام عائشة رضي الله عنها حدثت به النبي صلى الله عليه
وسلم بين ذلك عيسى بن يونس في روايته وابو اويس وابو معاوية الضرير
وقد روي ان القائل في حديث سعيد بن سلمة ثم انشأ يحدث الحديث
هو هشام وحكى ان اباه انشأ يحدث الحديث واوهم السامع بذلك
ان عائشة رضي الله عنها اخبرت بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو الحسن الدارقطني الصحيح عن عائشة انها هي حدثت النبي
صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ كنت لك كأبي
زرع لام زرع وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد
العزيز ومن تابعهم عن هشام وعن اخيه عبد الله عن ابيه عن عائشة هو
الصواب ولا يدفع قول عقبة عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة
عن عائشة **التعريف** ذكر في الخبر المتقدم ان هؤلاء النسوة كن
في زمن الجاهلية وذكر في الخبر الآخر الذي رواه الدراوردي انهن من
بطن من بطون اليمن وانا ابو الحسين علي بن محمد الشابه الاديب اذ وقفت
على تعليق بخط ابي محمد بن علي بن احمد الفارسي في قصتهن فذكر فيه
انهن من خثعم وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد في الحديث المتقدم
وهو خثعم ابن انمار بن اراش ويقال اراش بن عمرو بن الغوث ابن نبت
بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان كذا

قال

قال الهمداني وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين اراش بن لحيان بن عمرو ويقال
ابن عمرو بن لحيان ابن الغوث ونساب مضر يزعمون ان خثعم من انمار بن نزار و
انهم خالفوا ولد انمار بن سبا بحيرة انمار بن سبا بهم ابي سبا باسم ابيهم و
الاول اصح ويصدقه حديثه عليه السلام في ذكر سبا وولده فسمى
منهم انمارا ثم قال القرى منهم خثعم وبجيلة قال الهمداني واسم خثعم
افتل وسمي خثعم باسم جبل نزله بنوه وقيل باسم جمل كان له اسمه خثعم
فيقال احتمل خثعم ونزل خثعم وقيل بل نحروا عنده تحالفوا بعيرا ف
تلطخوا بدمه وهو التخثعم في لغتهم وقد روي في هذا الحديث في رواية
احمد بن عبيد بن ناصح الهيثم بن عدي الطائي بسنده عن عائشة قالت
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساء يتحضين بذلك
يا عائشة انا لك كأبي زرع قالت يا رسول الله ومن ابو زرع قال اجتمع نسوة
من قريش كلهن احدى عشرة امراة وساق الحديث بطوله فهذا مخالف للاول
والهيثم بن عدي عندهم متكلم فيه قال البخاري الهيثم بن عدي عن عمه
وفضله يروي مناكير وضعفه ابو حاتم الرازي ويحيى بن معين وقرأت
في كتب بعض الادباء ان امرأة زوجت احدى عشرة ابنة في ليلة واحدة
ودخل من ازواجهن فامهلتهن سنة ثم زارتهن فسالت كل واحدة
عن زوجها فاخبرتها بصفته فوافق من حديث ام زرع كلام صاحبة
المس مس ارنب بنصه وصاحبة رفيع العماد وصاحبة زوجي لحم جمل
غث وخالفت في الباقي وبينه انه حديث موضوع فان الناظم بني عن
عنده لكن ركب على بعض حديث ام زرع ولا يصح ان يكون هو هذا لصحة
مسند حديث ام زرع وضعف هذا وانا قد ذكرنا في بعض روايات
حديث ام زرع ما دل انهم عن اخوات والموفق الله **الغريب** وقع في
بعض روايات النسائي لهذا الحديث اجتمعن وفي رواية الطبري من حديث
مسلم فيما ابد عبد الله بن محمد الفقيه عنه جلس احدى عشرة امراة وفي
بعضها نسوة وهكذا وجدتها في اصل الاصيلي ابي محمد بخطه داخل
الكتب واصل كتابه على رواية ابي احمد الجرجاني احد شيخيه في الصحيح
المذكور وروى ابو عبيد القاسم بن سلام هذا الحرف اجتمعت بالتاء فتقدير

الكلام في هذا الفصل في محلين **المحل الاول** قوله اجتمعن وجلسن
او اجتمعت احدى عشرة فاظهر في هذه الروايات علامة التانيث ونون
الجماعة مع تقدم الفعل وبابه في العربية والاحسن في الكلام
حذفه وترك علامة التانيث والجمع وافراد الفعل قال سيبويه
حذف ذلك اكتفاء بما اظهروا به من صيغة الجمع والتثنية فقالوا
قام ابواك وقام قومك واستغنوا بما اظهروا عن قاموا وقاما
وكذا فعلوا في المؤنث فقالوا قالت جاريتاك وقالت نساؤك لانهم
ادخلوا التاء للتانيث وحذفوا علامة الجمع والتثنية كما فعلوا في المذكر
ولو بدأت باسمائهم لم يكن بد للمضمر ان يجيء بمنزلة المظهر في المذكر والمؤ
والتثنية والجمع فيتفق الحال فالاو فقومك قالوا وجاريتاك قالتا
ونساؤك قلن لانه قد وقع هنا اضمار في الفعل لهم اسماء المذكورين
فلم يكن بد ان يجاء به مجيء المظهر والفعل المقدم لم يكن فيه اضمار
فيظهر وليست تاء التانيث فيه علامة اضمار فيلزم اظهارها في
الجميع وانما هي علامة تانيث كهاء طلحة هذا تعليل سيبويه واما
الفارسي فقال لزمت التاء ها هنا في المؤنث الحقيقي ليشعر بتانيثه
حسب لزومه له وحقيقته ولم يلزم في ذلك الجمع والتثنية اذ ليسا
بلازمين لزوم التانيث وفرقا لبعض العرب قال امرأة كانهم جعلوا
اظهار المؤنث بعده يغني عن العلامة وهو اذا طال الكلام احسن و
اكثر كما قال لقد ولد الاخيطل ام سوء . قال سيبويه وهو في الواحد
الحيوان قليل يريد فيما تانيثه حقيقي وهو في المؤنث كثير يريد مما
ليس بحقيقي التانيث وهو في القران العزيز بالوجهين فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى وقد جاءتكم موعظة واخذ الذين ظلموا
الصيحة واخذت الذين ظلموا الصيحة ولو كان بهم خصاصة وكذلك
اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا او غيره ففيه وجهان
قال الله تعالى وقال نسوة في المدينة وجاءهم البينة البينات وجاءتكم
البينات . وقالت رسلهم وجاءتهم رسلنا واستيأس الرسل لانه
يصلح فيه جماعة وجمع وجميع قال ومن العرب من يقول ضربوني قومك

وضرباني اخوتك فشبهوها بالتاء المظهرة في قالت جاريتك كانهم
ارادوا ان يجعلوا للجمع علامة كما جعلت وهي قليلة كما قال
الفرزدق • يعصرن السليط اقاربه • وقال الاخر • يلومونني في
اشتراء النخيل • اهلي فكلهم يعذل • وعلى هذا حمل الاخفش قوله
تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا • وفي صحيح حديثه صلى الله
عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقال
بعض العرب اكلوني البراغيث قال الفقيه القاضي واذا قررت ذلك
فكلام امام الجماعة وحجة اهل الصناعة ما رايت نظرت في قوله
اجتمعن وجلسن احدى عشرة فان حملته على هذه اللغة الاخيرة •
وتاويل الاخفش في الاية كان وجها حسنا • وفيه وجه اخر وهو ان يحمله
على المعروف في الكلام ويجعل احدى عشرة بدلا من الضمير في اجتمعن
وهذا تاويل سيبويه في الاية وحكاه عن يونس • قال وكانه قال انطلقوا
فقيل من هم فقيل بنو فلان • ولكن يتحقق هذا في الحديث بان يقدر انه
صلى الله عليه وسلم اخبر عنهن على الوجه وقد جرى ذكر المخبر كالمصدر كالمخبر
عنهن ثم اخبر الفعل وانهن في نفسه وذكر مقدمات ونكون النون ضمير الاسما
لا حرف علامة فتكون ما بعدها عائدة لامنها كما كان في الاية ليفيا الذكرين
تعود عليه الضمير الا ترى انه قد جرى شيء منهن قبل وهو قوله صلى الله
عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع ثم سؤال عائشة له عن قصة
ام زرع قالت وانشاء يحدثنا الحديث وقد يكون ايضا قوله احدى عشرة
خبر المبتدا مضمر كانه قيل من هن فقال هن احدى عشرة وهو احدى
التاويلات في الاية وبها قدر سيبويه فيها الابتداء • وفيه وجه
رابع ان يجعل احدى عشرة نصبا باعني وهو احدها ويلات الاية وفي الاية
وجوه اخر غير هذه لا نطول بذكرها اذ ليست من غرضنا واما على رواية
ابي عبيد فعلى احد الوجهين المعروفين في تقدم الفعل الجماعة كما ذكرناه
المحل الثاني احدى عشرة نسوة وباب العدد في العربية ان ما بين الثلاثة الى
العشرة مضاف الى جنسه لنفسه ونوضحه وفي احد عشر الى تسعة وتسعين مميز بواحد
منصوب على التمييز بدلا على جنسه وما بعد هذا مضاف الى واحد من جنسه وقد جاء هذا

النسق وهو جنس بعد احد عشر وهو خارج عن وجه الكلام ولا يصح نصبه على التفسير
اذ لا يفسر في العدد الا بواحد ولا يصلح اضافة العدد الذي قبله اليه اذ لا يضاف
ما بعد العشرين العدد الى المائة فوجه نصبه عندي على اضمار اعني ويكون مرفوعا
بدلا من احدى عشرة وهو الاظهر فيه وعلى هذا اعرب قوله تعالى وقطعناهم
اثنتي عشرة اسباطا فالاسباط بدل من اثنتي عشرة وليس بتفسير قاله الفارسي
وغيره وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا اولى عندي واحسن وبالله التوفيق
الفقه في استدلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع اهله
وتانيسهن به واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه كما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم ههنا بحديثه لعائشة ومن كان معها من ازواجه بخبرها ولاء
النسوة وهكذا ترجم البخاري عليه باب حسن المعاشرة مع الاهل وقد
وردت الاثار الصحاح الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله و
مباسطته اياهم وكذلك عن السلف الصالح وقد ملك رضي الله عنه يقول في
ذلك مرضاة لربك ومحبة في اهلك ومثراة في مالك ومنساة في اجلك قال
وقد بلغني ذلك عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك رحمه الله
من احسن الناس خلقا مع اهله وولده وكان يقول يجب على الانسان
ان يتحبب الى اهل داره حتى يكون احب الناس اليهم **وفيه من الفقه** منع
الفخر بحطام الدنيا وكراهيته الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة
حين فخرت في اول هذا الحديث بمال ابيها قال لها اسكتي يا عائشة ثم امرها
انتهاء ان فخرت عندها فخرا هو اولى بها واسعد لها يا فتق لها كنت لك
كابي زرع لام زرع فمكانتها منه ومحبته وزوجيته وحسن عشرته
وكثرة منفعته لدينها ودنياها به صلى الله عليه وسلم اعرق في الفخر
وارفع في الصيت والذكر من كثرة مال ابي بكر رضي الله عنه **وفيه من الفقه**
جواز اخبار الرجل زوجه واهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته
اياهم واحسانه اياهم وتذكيرهم بذلك تطييبا لانفسهم واستجلابا لمودتهم
واذا جاز له ان يكذبهم ويبيح له ان يمنيهم بالمواعيد غير الصادقة فهذا
اجوز فاذا جاز من النساء كفران العشير جاز تذكيرهن بالاحسان لهن
وحسن ذلك منهن **وفيه من الفقه** اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة

صرامها بما يراه من قول وفعل وتخصيصها بذلك كما قالت عائشة رضي الله
تعالى عنها ليحضني بذلك ولانها كانت مقصودة بهذا الحديث وهذا اذا لم
يكن بقصد الاثرة والميل بل لسبب اقتضاه ومعنى اوجبه من تانيس وحشة
بدت منها او مكافات جميل صدر عنها وقد اجاز له بعض اهل العلم
تفضيل احداهما على الاخرى في الملبس اذا او في الاخرى حقها وان يتحف
احداهما ويلاطفها اذا كانت شابة او هي ابر به ولملك نحو هذا ق
لاصحابه قال ابن حبيب والمساواة اولى والمكروه من ذلك كله ما قصد به
الاثرة والميل والتفضيل لا لسبب سواه والنبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن
العدل في القسم بين النساء واجبا عليه لقوله عز وجل ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء فقد التزمه صلى الله عليه وسلم واخذ به نفسه
تفضلا منه وتخلقا بالعدل وليقتدي به امته حتى قال اللهم هذا
قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك يريد القلب **وفيه من الفقه**
جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته ومجالستها في يوم الاخرى ومحادثته
اياها لقول عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اجتمع عنده نساؤه وفي الرواية الاخرى دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعندي بعض نسائه فالظاهر انه في بيتها وقد روي عنه في
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو
من احداهن وانهن كن يجتمعن عند التي هو يومها وقد اختلف العلماء
في هذا فاجازه بعضهم وقال ملك في كتاب محمد باجازة دخوله عند احدى
نسائه في يوم صاحبتها لحاجة او عيادة او يضع ثيابه عندها اذا كان
ذلك منه على غير الميل وقد ذكر بعضهم انه لا يختلف فيما علمه في الدخول
الخفيف للحاجة بعضها قال وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة
ووقع لملك ايضا لا يقيم عندها الا من عذر لا بد منه وعن معاذ انه
كان له امرأتان فكان لا يشرب الماء من عند احداهما في يوم الاخرى وقال
عبد الملك بن الماجشون يقف بباب احداهن ويسلم ولا يدخل وتاول اهل
هذه المقالة ما روي عنه عليه السلام في الحديث المذكور خصوصا للنبي
صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم وانه انما كان يفعل

صلى الله عليه هذا نادرا واحيانا وغالب امره العدل والتسوية ليبين العدل
وحسن العشرة وفيه من الفقه جواز الحديث عن الامم الخالية والاجيال
البائدة والقرون الماضية وضرب الامثال بهم لان في سيرهم اعتبار المعتبر
واستبصار للمستبصر واستخراج الفائدة للباحث المستكثر فان في
هذا الحديث لسيما اذا حدث به النساء منفعة في الحض على الوفاء
للبعول والندب لقصر الطرف والقلب والشكر الجميل فعلهم وحسن
المعاشرة منهم كحال ام زرع وما ظهر من اعجابها بابي زرع وثنائها
عليه وعلى جميع اهله وشكرها احسانه لها واستصغارها كل شيء
كل شيء بعده وبسبب قصتها كان جلب الحديث كما وقع مبينا في
بعض الروايات مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتي هممن ازواجهن
في الصبر على ما يكون من الازواج والاعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم و
شراسة اخلاقهم ليقتدي بذلك النساء من بلغها خبرهن في الصبر على
ما يكون من الازواج وما نسي من تقدمها في ذلك وفيه من الفقه التحدث
بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء القلب وهكذا
ترجم ابو عيسى الترمذي عليه باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السمر وادخل في الباب هذا الحديث وحديث خرافة ويروى
عن علي رضي الله عنه انه قال سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها
تصدا كما يصدا الحديد ويروى عن عبد الله بن عباس انه كان يقول اذا
افاض من عنده في الحديث بعد القران والتفسير احمضوا اي اذا مللتم من
الحديث والفقه وعلم القران فخذوا في الاشعار واخبار العرب كما ان الابل
اذا ملت ما حلا من النبت رعت الحمض وهو ما ملح منه ومنه قول الزهري
هاتوا من اشعاركم فان الاذن مجاجة وللنفس حمضة اي انها تشتهي الشيء
بعد الشيء كما تفعل الابل ومنه قول ابي الدرداء اني لاستجم نفسي ببعض
اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه القلب اذا اكره عمي
وقال بعض الحكماء ان للاذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكون
ذلك استجماما وهذا كله ما لم يكن دائما متصلا وانما يكون في النادر كما
قال ساعة بعد ساعة واما ان يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك

ويتخذ

ويتخذ ديدنا ويطرب به الناس ويضحكهم دابه فهذا مذموم غير محمود
دال على سقوط المروة ورذالة الهمة وخلع برد نزاهة النفس واطراح ربقة
الوقار والسمت ملحق صاحبه بارباب المجون والسخف وقد عد هذا الفن الفقهاء
فيما يقدح في عدالة الشاهد فذكر ابو بكر الابهري وغير واحد من ائمتنا ان
التزام المروة مشترطة في العدالة ونحوه للشافعي وائمة اصحابه وذكر
شيخنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري ان الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط
مروته من الاكل على الموائد في الاسواق والطوفان غير مستحق وكشف راسه و
تدنيه بحضرة الناس ومد رجليه بحضرتهم والحكاية المضحكة وذكر اهله
بالسخف قال فهذا كله وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ولا تقبل
الشهادة معها قال الفقيه القاضي ادام الله توفيقه وما قاله صحيح لان
المداومة على هذا مما يسقط مروة ذوي الهيآت ويزيل سمت اصحاب
السمت والتصاون واشتراط التزام المروة مشترط في الشهادة والعدالة كاشتراط
اجتناب المحارم ولكن لكل واحد مروة ولهذا قالوا ملتزما لمروة مثله وقد
قال بعض ائمتنا فال وهو ابو القاسم بن محرز المروة المطلوبة
في الشاهد هي الصيانة والسمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب السخف والمجون
وكل خلق دني وقال بعض ائمة البغداديين العدالة عبارة عن استقامة
السيرة والدين ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة
التقوى والمروة جميعا قال وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات
القادحة في المروة نحو الاكل في الطرق والبول في الشارع وصحبة الارذال وافراط
المزاح وقال القاضي ابو بكر بن الطيب في صفات العدل تجنبها يمرض القلوب
ويورث التهم فيما جل وقل قال ومن علمائنا من صار الى التوقي عن المباحات
القادحة المروة كالجلوس في الاسواق والاكل على الطرقات ومصاحبة الارذال
والاكثار من المداعبة تقدح في العدالة قال ولا اقطع بذلك وعندي ان ذلك مفوض
الى اجتهاد القاضي فرب شخص في نهاية في التدين ويجتنب التكلف يصدر
ذلك منه ولا يتهم ورب شخص يوذن ذلك منه بقلة المبالاة وهذا يختلف
باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال وهو مفوض الى الاجتهاد قال الفقيه
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وما قاله القاضي سيف السنة من ذلك صحيح حسن بين

وهو معنى قول عمر الذي قدمناه من أن لكل أحد مروءة ما فتلك معتبرة
وذلك أن من سقط مروءته ولم يبتل بما دل على اختلال في مسره إذ لم يحفظ
لنفسه ولا اهتبل بصلاح خاصته فبعدت بذلك لديه في دينه ولم يسلم إلى
باطنه لما اضطرب علينا ظاهره وهذه نكتة بالغة في هذا الفصل تغلغل القول
القول بها لعلك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الأوراق وقد طاش بينهم القول
اعترض العرض علينا فيما اقتضاه من معقول ومنقول ونحو تحقيق فنقول **وفيه من الفقه**
بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن حوله وبيانه عليهم ما لقنا نفسه كما فعل صلى الله
عليه وسلم في هذا الحديث لعائشة رضي الله عنها كنت لك كأبي زرع لأم زرع قالت ثم
أنشأ يحدث الحديث وقد ورد في غير ما حديث صحيح ابتداؤه صلى الله عليه وسلم لأصحابه
المسائل جملا وتفصيلا **وفيه من الفقه** سؤال التلميذ العالم شرح ما أجمله له فقد
فقد وقع في بعض طرقه عن عائشة رضي الله عنها أنها لما قال لها أنا لك كأبي زرع لأم
زرع قالت يا رسول الله وما حديث أبي زرع فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث **الغريب** قول عائشة رضي الله عنها كان في الألف الفا وفيه جمع
قال الله تعالى لما ألفت بين قلوبهم وروي آلف بالمد فمعناه وهو فعل
مشتق من الألف يقال ألفت القوم فالعوا الكرام والمتعدي واحد قاله
الهروي أي جمعتهم ألفا وصيرتهم ألفا وقولها تعاهدن وتعاقدن
أي ألزمن أنفسهن بالقول موثقا وعهدا وعقدن على الصدق والوفا
من ضمائرهن عقدا قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان أي بما وافق به نطقكم نياتكم والأصل أن
العهد والعقد في اللغة بمعنى واحد قاله الخليل وابن دريد وغيرهما ومعناه
التوثق من عقدت الحبل والشيء بالشيء وهو التوثق منه وربط بعضه
ببعض وكان هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر بإخلاص
الباطن وقولها في الرواية الأخرى تبايعن من هذا المعنى وأصله مبايعة
الأمراء وهو توثقهم من الناس ومعاهدتهم إياهم على الطاعة وأصله
من البيع وذلك أن المتبايعين يمد كل واحد منهما يده إلى صاحبه ببسطه
وقيل بل كانوا العرب كل واحد منهم يده بيد صاحبه عند التبايع ولهذا
سميت صفقة لاصطفاق أيديهم بعضهم ببعض عندها ولما كان الأمراء

يأخذون

يأخذون عند التوثق بأيدي من عاهد وأوثق به ذلك فعل المتبايعين
سميت مبايعة لذلك **غريب قولها الأولى** لحم جمل غث أي مهزول قال الشاعر
فأصبحت وريس قد أغثت سمينها والغث أيضا الفاسد من الطعام ومن العيشة
وهي اللمة التي تجتمع في الجرح ويقال أغث الطعام يغث وأغث والأصل أن
يكون هنا المهزول لقولها بعد لا سمين فينتقى ومن رواه غث فمعناه
هو قليل اللحم صفة للبعير يقال جمل غث وقد غث غثاثة قال ابن الأنباري
يريد لحم جمل مهزول يريد ابن الأنباري أن المسنة الغالب عليها الهزال وقولها
على رأس جبل وعر أي حزن غليظ والقوز مثل الجبل من الرمل وجمعه أقواز
وقيزان وأقواز ومن رواه وعث فمعناه ذو وعث والوعث الدهس
وهو مما يشتد فيه المشي ويشق فاستعمل لكل ما شق ومنه وعثاء السفر
أي شدته ومشقته وقولها ليس بلبد فيتوقل أي ليس بمستمسك فيسهل
صعوده يقال لبد بالشيء يلبد لبودا إذا لزق به ولبد الغيث الأرض أي ألزق
بعضها ببعض وجعلها لا يسوخ فيها الأرجل والتوقل الإسراع في المشي قاله ابن
الأنباري • وقال غيره يعني الإسراع في الصعود وقال ابن دريد في الجمهرة توقل
في الجبل توقلا فهو متوقل وكل صاعد في شيء متوقل والاسم منه الوقل والوقل
• وقولها لا سهل فيرتقى أي يطلع إليه يعني الجبل لحزونته ووعورته
ولا سمين فينتقى يعني اللحم أي ليس بسمين نقي أي مخ فيخرج هذا نحو لفظ
الهروي وفيه تجاوز إذ ليس يستبين منه المعنى وقريب منه قول أبي عبيد
ويعقوب وبيان معنى ما وقع ههنا أي يقال ليس بسمين له نقي فيطلب
لأجل نقيه فلذلك قال ينتقى أي يطلب طيبه لأجل ما فيه من النقي لأنه
أراد استخراج نقيه وهو مخه وذلك أن الجمل إذا هزل فلا بد أن ينتقى فيه نقي
عظامه قال الخليل النقي مخ العظام وشحم العين قال وآخر ما يبقى في الجسد
إذا هزل مخ السلامى ومخ العين فإذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شيء من خير
ولا ينتفع به بدليل قوله • لا يشتكين عملا ما أنقين ما دام مخ في سلامى أو عين
• ومن رواه فينتقل أي ينتقله الناس إلى بيوتهم فيأكلونه ولكنهم
يزهدون فيه قال لنا أبو سعيد المتشابه ليس شيء أخبث غثاثة من
الأنعام من الجمل لأنه يجمع خبث الريح وخبث الطعم يريد فلذلك ضربت به

المثل **معناه** وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير وبعده
من نيل خيره مع قلته كاللحم المهزول والفاسد المنتن الذي يزهد فيه
فلا يطلب وكيف إذا كان في رأس جبل صعب وعر وفوق زهد لا هش
نملي ولا ينال إلا بمشقة وإلى هذا أشار القاسم بن سلام وغيره وذهب الإمام
أبو سليمان إلى أن تمثيلها بالجبل الوعر ههنا إشارة إلى سوء خلقه والذهاب
بنفسه وترفعه بأنفها وكبرا يزيد بذلك مع قلة خيره يتكبر على عشيرته
فيجمع إلى البخل سوء الخلق وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته لهم
عربية اعلم أنه يجوز في غث وصفا للحم والكسر وصفا للجمل وروي
بالوجهين لأن الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ومن رواه لحم غث فالرفع على
ما تقدم والكسر على الإضافة بتقدير حذف جمل وإقامة وصفه مقامه
وأما من رواه لحم فلا يجوز فيه إلا الكسر لأنه لا يكون إلا وصفا للجمل وقولها
لا سهل فيرتقى يجوز فيه ثلاثة وجوه كلها مروية نصب لام سهل دون
تنوين ورفعهما وخفضهما منونه وأعربها عندي ههنا الرفع في الكلمتين
ووجهه أن تكون خبر المبتدأ محذوف تقديره لا هو سهل ولا هذا سهل ولا
ذا السمين • ولا الجبل سهل ولا اللحم سمين فيكون كل واحدة من الكلمتين
خبر المبتدأ المحذوف كما قال يا صاح اليوم لا معط ولا قار أي لا هو معط ولا
هو قار ويصح أن يكون سهل المبتدأ والخبر محذوف ومعناه أي لا سهل في هذا
مرتقى ولا سمين من هذا مستقى ومثله قوله تعالى لا بيع فيه ولا • قرئ
بالوجهين الرفع والنصب ويكون لا ههنا بمعنى ليس كما قال • فأنا ابن
قيس لا براح • فأما وجه نصب سهل فعلى إعمال لا وجعلها نافية محذوفة
الخبر فنصب بها والتقدير لا سهل فيه ومنه مثل قولهم لا بأس ولا خوف
ومنه قولهم لا حول ولا قوة إلا بالله • وأما الخفض فعلى وجهين على
النعت للجبل وترك إعمال لا وتقديرها ملغاة زائدة في اللفظ لا في المعنى
وهذا أحد وجوهها عند النحاة كقولهم مررت بلا زاد وعجبت من لا شيء فإن لا
ملغاة العمل أثبتت في اللفظ لا في المعنى ومنه قوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وقوله وظل من يحموم لا بارد ولا كريم فمقطوعة وممنوعة نعت
للفاكهة وبارد وكريم نعت للظل ولكن بتقدير لا في المعنى وإلغائها في العمل

لأنك لو لم تلغها لعملت عملها وحالت بين العامل في النعت والمنعوت فكأنها في التقدير
ولو أبطلت أيضا حكمها في المعنى لبطل المعنى وكان ما بعدها إثباتا من حيث كان نفيا
فهي ملغاة في العمل إسعادا فاصلة بين العامل والمعمول فيه ولذلك قولها لا سهل
ولا سمين وقد يكون له أيضا وجه آخر وهو أن تقدره لا بمعنى غير فيكون
سهل خفضا بالإضافة إليها فإذا تقرر ههنا في قولها لا سهل فكذلك ترد
قولها بعد ذلك ولا سمين على ذلك كله وتجريه على إعراب ما قبله من الوجوه
الثلاثة عطفا عليه وإن شئت نونت سمينا في حال النصب وإن شئت
قلت لا سهل ولا سمين ما نونت الأول على حاله ورفعت الآخر على الوجهين
اللذين ذكرناهما قبل في رفع الحرفين معا وإن شئت قلت لا سهل ولا
سمين فرفعت الأولى ونصبت الثاني كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج في قراءة أبي عمرو وكقول أمية بن أبي الصلت فلا لغو ولا تأثيم
فيها وما فاهوا به لهم مقيم **بيان** إن قلت ذكرت أن إعراب الوجوه عندك الرفع
في الحرفين وأصل لا العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها
وقصارك إن عطفت النكرات عليها مع تكرارها أن يجوز الرفع تجويز
النصب فأما ترجيحه عليه فبعيد وكيف وعند الجماعة نقول النصب
أجود وأكثر من الرفع **فاعلم** وفقك الله أني إذا بينت لك فعلي و
رفعت مناده رأيت ترجيحه وإثباته وذلك أني لم أرد ذلك من جهة مذهب
النحاة وتقويم الألفاظ ولكن من جهة المعاني وتصحيح الأغراض وترتيب
الكلام ونظامه ورد أعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه وذلك أن هذه
المرأة أودعت أول كلامها تشبيه شيئين من زوجها بشيئين
كما تقدم فشبهته باللحم الغث لبخله وقلة عرفه وبالجبل الوعث لشراسة
خلقه وشموخ أنفه فلما أتمت كلامها جعلت تفسر حسنا لفيه كل واحدة
من الجملتين وتفصيل بأعينه كل قسم من التشبيهين ففصلت الكلام وقسمته
وأبانت الوجه الذي به علقت التشبيه فشرحته فقالت لا الجبل سهل
فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم الغث المزهود فيه لأن الشيء المزهود فيه ربما
أخذ إذا جاء عفوا وتنول إذا سهل مأخذه ولا اللحم سمين فيتجشم في طلبه
وانتقائه مشقة صعود الجبل ومعاناة وعورته إذ الشيء المرغوب فيه قد

يتمهل المشافه وتتفاد لم يكن هذا ولا ذاك واجتمع قلة الحرص عليه وعسر
ومشقة الوصول اليه لم يطمح اليه همة طالب ولا امتدت نحوه امنية راغب
فكذلك زوجها قد اتسق من خبره لهذين الوجهين فتقطع الكلام عند تمام
التشبيه والتمثيل وابتداؤه بحكم التفسير والتفصيل الذي ينظم الكلام واحسن
من نفي الرديء وسرد الصفة في نمط البيان واحلى في مذاق الاعجاز على صنعة
هذه الاقسام وتأمل كتاب الله العزيز فان المتقن تجد تردد فيه معطوفه
لشيء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة كقوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وكاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويوم لا بيع فيه ولا خلة فقرئ
بالوجهين الرفع والنصب لا رفث ولا فسوق ولا جدال وحيث ورد النفيا
فيه لصفات اشياء او لشيئين تخص كل واحد منهما بوصف وفيه كل شيء
منهما بنفي عيب تبدى الكلام حينئذ مستانفا فقال بيضاء لذة للشاربين
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فقوله لا فيها غول من صفة المشروب
وقوله ولا هم عنها ينزفون من صفة الشاربين وهذا من الترتيب البديع
والتناسب العجيب وانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول والثاني للثاني وهو
من ابدع انواع التاليف واحسن اساليب الترصيف ومثله قول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي . فاتى
بالعناب اولا للقلوب الرطبة المذكورة اولا والحشف ثانيا لليابسة المذكورة
ثانيا وقول بعضهم سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد مل المسامع والافواه
والمقل فانه قابل قوله سل المسامع ولا في الشطر الثاني قوله سل عنه
اولا في الشطر الاول واتى بالافواه ثانيا في الثاني مقابلا للنطق ثانيا في الاول
واتى بالمقل بالثالث في الثاني مقابلا للنظر بالثالث في الاول ومثله قلبي وطرفي
منك هذا في حمى قيظ وهذا في رياض ربيع فانه حمل حمى القيظ الذي جاء به اولا
في العجز على القلب الذي جاء به اولا في الصدر وحمل رياض الربيع الذي اتى به في
العجز اخرا على الطرف الذي اتى به في الصدر اخرا فتناسب النظم على نسقه وتطارد
الترتيب على جادة طلقه وكذلك جاء في بعض روايات حديث ام زرع تقديم
لا سمين لعوده على اللحم لتقدمه وتاخير لا سهل لعطفه على الجبل الوعر
وقد ترامى بناء العقد هنا الى لجة والباعة مما في كلامها من ابواب البلاغة

وهو

وهو فصل لها التطويل به ههنا وسنذكر بعد اشباهه مما في كلام صواحبها
ان شاء الله تعالى **فقهه** استدل بعض العلماء من هذا الحديث على ان
ذكر السوء والعيب اذا ذكر به احد فيمن لا يعرف بعينه واسمه انه ليس بغيبة
وانما الغيبة ان تقصد معينا بما تكره فان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحكي عنه
بعض هؤلاء النسوة ما ذكرته من عيب ازواجهن ولا يحكي عن نفسه ان غيره
صلى الله عليه وسلم الا ما يجوز ويباح وقال مثل ذلك ابو سليمان الخطابي ورايت
شيخنا الامام ابا عبد الله محمد بن علي التميمي لا يرضى هذا القول وقال انما كان
هذا حجة لو سمع النبي صلى الله عليه وسلم امراة تغتاب زوجها ولا تسميه
فاقرها عليه واما هذه الحكاية عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر
عليهن فليس بحجة في جواز ذلك وحالهن كحال من قال في العالم من يسرق
ويزني فلا يكون غيبة قال ولكن المسالة لو نزلت فوصفت امراة زوجها
بما هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ولو كان مجهولا لكان
لا حرج فيه على راي بعضهم الذي حكيناه قال وللنظر فيه مجال قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فيه للنظر ايضا مجال عندي وتحقيق المسالة ان فائدة
النهي عن الغيبة حماية عن اذى المؤمن فاذا ذكر المجهول بين عند القائل والسامع
بالقبيح دون ان يذكر لهم اسمه او وصف عساهم لم يعرفوه به عرفها ليس بغيبة
لان مثل هذا لا يتصل به اذى للمقول فيه اذ لا يتاذى الا بتعيينه اما عند
القائل والسامع او من يبلغه الخبر وهذا مثل قولك في العالم من يفسق
وفي بني تميم من يسرق فهذا ليس بغيبة وقد اشار الى نحو هذا الحرث بن اسد
رحمه الله تعالى قال وقال ابراهيم لا يكون غيبة ما لم تسم صاحبها وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد شيء لم يصرح به وكان يقول ما بال
اقوام يفعلون كذا وهو صلى الله عليه وسلم وان عرفهم فليس بمغتاب لهم
اذ نيته غير الغيبة والاذى بل التحذير والعظة ولو فعل ذلك انسان لمثل
هذا لم يكن مغتابا اذ لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه وكذلك
قولها في هذا الحديث اجتمع احدى عشرة امراة فذكر نساء مجهولات الاعيان
والاسماء مجهولات الازواج بايمان الزمان فيما حكي عن بعضهم من قبيح
ذكر ازواجهن ليس بعينه نعم وان كانت قد سميت في بعض الطرق كما

ذكرناه بعضهن فان ازواجهن غير مسميين ومع ان تلك التسمية لقدم
الزمان لم تكن معروفة وايضا فانه اخبر عن قوم من الجاهلية الله اعلم هل
كانوا على ديانة ام لا فلم يكن فيهم ولو عرفوا ان كانوا على الجاهلية غيبة
وانما متى كان القول له معروفا عند القائل او السامع فهي غيبة وكذلك
لو لم يعرفاه ولكن بلغ احدا من الناس ان فلانا الكذا اي دناءة كذا او تخلق
من القبيح بكذا تحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الاجنبية لكان اغتيابا من
لان ذلك المسمى لو بلغه ذلك وسمعه لتاذى به الا ان يكون القائل بحرمة
ولكن لم يفصح به وذكر عيبه لضرورة التحذير او لوعظ كما تقدم قال القاضي
الفقيه ابو الفضل وفقه الله وقول شيخنا ابي عبد الله وانما حكي عن نساء
مجهولات غير حاضرات تنكر عليهن غير بين عندي فان الحجة انما هي في حكاية
النبي صلى الله عليه وسلم والحكاية لذمهن فانما حكى رجل عن غائبة
انها قالت في زوجها وسبته بكذا لكان غيبة في الراوي والسامع له وانما
الحجة من هذا الحديث حكايته صلى الله عليه وسلم عن مجهول الان والمقول
فيهم مجهولون عند جميع السامعين والحمد لله رب العالمين **تنبيه**
كنت نويت ان اذكرها في كلام كل واحدة منهن لاء السوق من ابواب
الفصاحة وانبه على ما فيه من فنون البلاغة وابين ما اشتمل عليه من
ابواب البديع على مذهب اهل هذه الصناعة فان كلام هؤلاء النسوة
من الكلام العالي الفصيح الجامع للفظ المختار والنظم المناسب المليح
والمعنى الجيد البليغ الصحيح لكني رايت ان افراد الكلام عليه
عند شرح قول كل واحدة يطول لما سيوجد من التكرار والمداخلة في بعض
الفصول فرايت تاخير ذلك الى اخر الحديث اولى ليأتي الكلام عليه دفعة
ويغيض بحلاجنا الى ما اشترطناه من الاختصار وذكرها لما بسطته
من عذر الاكثار والعون الله جل اسمه **غريب قول الثانية**
لا ابث لا انشره واذكر من رواه وانما من هذا يقال بث الحديث وبثه
بمعنى الا ان البث اكثر ما يستعمل في الشر وهو بمعنى انبثي في الرواية
الاخرى اي اعلم قال ابو عبيد العجر تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تراها
ناتئة والبجر مثلها الا انها مختصة بالبطن قال نحوها الاصمعي وقال ابن الاعرابي العجرة

نحن

نحن في النظر فاذا كانت في السرة فهي بجرة ثم تنتقلان الى الهموم والاحزان
ونحوه عن ثعلب والاصمعي قال ومنه قول علي رضي الله عنه يوم الجمل الى
الله اشكو عجري وبجري اي همومي واحزاني قال احمد بن عبيد العجر في البطن
والجنب والبجر في السرة وقال الاصمعي انما تستعمل في المعايب ايضا قال
الهروي عجره وبجره اي عيوبه وقال ابن حبيب وقال ابن السكيت اسراره
وقال نحوه المبرد ومنه فسر قول علي رضي الله عنه قال ابي اسرهن امري
وحكي نحوه عن الاصمعي قال عنه وهو كلام سائر من امثال العرب لقي فلدنا
فابثه عجري وبجري اي اسراري وقال ابو سعيد النيسابوري انما عنت ان
زوجها كثير العيوب منعقد النفس عن المكا **معناه** قولها لا ابث خبره
اخاف ان لا اذره اي اترك حديثه والهاء عائدة على الخبر اي انه لطوله وكثرته
ان بداته لم اقدر على تمامه والى هذا ذهب يعقوب وبعضه هذا ما ورد
في زيادة بعضهم لا ابلغ فيه وفيه تاويل اخر ذكره احمد بن عبيد
بن ناصح ان الهاء عائدة على الزوج وكانها خشيت فراقه ان ذكرته و
كرهت ذلك وتكون لا هنا على قوله زائدة كما قال تعالى ما منعك ان لا تسجد
وسيبويه فيكون ان اذره على هذا التاويل افارقه ويحتمل على رجوع
الهاء الى الزوج ايضا ويكون اخافه اني ان اخبرت بشيء من عيوبه ونقائصه
افضى الى ذكر شيء اخر اقبح منه ووقع هذا صواحبها على ان لا يكتمن
شيئا من صفات ازواجهن فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهن وذهبت
الى ستر عيوبه لكثرتها ولم تر ان تذكر بعضها دون بعض وانها
ان ذكرت شيئا تسبب ذكر شيء اخر فرات الامساك اولى ويدل على هذا
ما وقع في بعض طرقه اخاف ان لا اذره من سوء ومعنى قولها ان اذكره
اذكر عجره وبجره فعلى مذهب ابن الاعرابي وثعلب والاصمعي اي اني
ان ذكرته ذكرت همومي واحزاني به وعلى مذهب الاصمعي الاخر والمبرد
والنيسابوري ان ذكرته ذكرت معايبه وقبائحه وعلى مذهب ابن السكيت
ذكرت اسراره وبعضها قريب من بعض قال الخطابي ارادت عيوبه
الباطنة واسراره الكامنة قال الفقيه القاضي رضي الله عنه اعلم انه كان
مستور الظاهر ردي الباطن فلم ترد هتك ستره وانها ان تكلمت بما

بما فيه عاقدت عليه جوانحها كشفت من قبايحه ما استتر وابدت من
سوء حالها وعظيم همها به ما قل لم تظهر ولكنها وان لوحت وما
صرحت واجملت وما شرحت فقد بينت وان قالت لا ابث اذ لا بد
للمصدور ان ينفث وهذا كما قال ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت
بنفسي النشا الصغار فمن ضمن الصريح انه لم يقل
وفي بعض الصريح انه قد قال ولكن هذه اكتفت بالايما والاجمال في
عنده ولم تهتك حجاب الصدق عن عورات ما عرفت منه غريب
قول الثانية قولها زوجي العشنق والعشنق الطويل قاله ابو عبيد
وغيره من الشارحين وحطاه وقد ذكر عبد الملك بن حبيب وقال
العشنق المقدام على ما يريد الشرس في اموره بدليل بقية وصفها
له وقال ابو سعيد النيسابوري فيه لا يجمع التفسيرين قال العشنق
الطويل النحيف الذي ليس امره الى امراته وامرها اليه فهو يحكم فيه
بما يشا وهي تخافه وقال ابو منصور الثعالبي العشنق والعشنط المذموم
الطول قال غيره ومثله الشناق وهذا يقرب من قول النيسابوري وقال
ويقال للطويل من الرجال العشنق وحكى ابن الانباري عنه انه الطويل
الجري والعقر قال ابو بكر فكانه جعله من الاضداد والمشهور انه
الطويل تنبيه قال القاضي الذي قراناه في حديث ابن ابي اويس الصقر
كما ذكرناه ولم يذكر فيما رايناه احد من اهل اللغة العشنق في الصقر
ولعله تصحيف من ابي بكر والله اعلم وقولها اعلق اي يتركني معلقة
كمن لا زوج لها ولا هي ايم قال الله تعالى فتذروها كالمعلقة والسنان
الرمح والمذلق المحدد اي انها معه على مثل سنان محدد وذلق كل شيء
حده ومنه قولهم لسان ذلق اي حديد فصيح ارادت انها لا تجد معه
قرارا وانها معه على حذر كمن هو على طرف السنان وانه هو لهوجه
لا يستقر على حاله معناه وصفنا له الطول على راي ابي عبيد
تريد مدحته بذلك لان العرب تمدح الرجال والنساء بطول القامة
وتخامد الظاهر ومنه قول الاخر طويل النجاد وقال الشاعر تحان
به سبط العظام كانما عمامته بين الرجال لواء وقال اخر

خدب

14

خدب يضيق السرج عنه كانما يمد ركابيه من الطول مائح وقال
غيره بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
يقول كان ثيابه من طوله على سرحة اي شجرة عظيمة طويلة لكمال خلقه
وانه ولد وحده غير توأم له لئلا اخر زحمه في الرحم فاضعفه ونقص
خلقه ومنه قول الشعبي لولا اني زوحمت في الرحم ما قامت لاحد معي
قائمة واقتصارها من صفاتها على الطول وحده قال الاصمعي ارادت
بذلك اي ليس عنده اكثر من طوله بلا نفع فان ذكرت ما فيه من المعايب
طلقني وان سكت تركني معلقة لا ايما ولا ذات بعل يعني ينتفع بها انتفاع
البعول لها ولست مطلقة فاستريح منه واتفرغ لغيره واياس منه ولا
احسن صحبتي فاغتبط به فانا كالشي المعلق بين العلو والسفل غير المستقر
في احدهما وقيل يحتمل قولها ان يكون من علاقة الحب ولذلك كانت تكره
ان تنطق لئلا يفارقها وان سكتت بقيت بعلاقها ولم تستبدل بها ولا وصلها
فتشفي غليل صدرها قال ابو بكر بن الانباري ارادت ان زوجي له منظر
بلا مخبر وعلى من هذا الامر فتقتضي جميع ما وصفته به سوء الخلق وسوء
العشرة وانها لا تامن اذاه وضره وانه مع هذا مذموم الراي والخلقه
وانها على حذر من صحبته غير مطمئنة النفس ولا مستقرة الجاش معه
متوقعة اذاه وفراقه فهي معه كمن هو على حد السنان من المجانبة والحذر
وعدم الطمانينة والاستقرار والعرب تقول لمن يكون على حذر وغير
استقرار كانه على مثل سنان الرمح ومثل حد السيف ومثل قرن الظبي
قال امرؤ القيس كاني واصحابي على قرن اعفر وقد ابان هذه
العلة ابو العلاء بن سليمان بقوله كانني فوق قرن الظبي من حذر
غريب قول الرابعة زوجي كليل تهامة القر البرد والسامة
الملال والوخامة الثقل يقال رجل وخيم اي ثقيل وطعام وخيم
ثقيل غير مستمرا ومرعى وخيم لا تنجع على الماشية غريبه
يجري في قولها لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة ما تقدم من الوجوه في قول
الاخرى لا سهل ولا سمين ولكن كلام هذه احلى في بعض الوجوه من
الكسر على الصفة لتكرر الاوصاف ولكونها كلها اوصافا للشيء واحد وسيبويه

يستقيم اذا لم تتكرر الاوصاف وان العطف على الموضع اذا نصبت
اولا ورفعت اخرا لكونها جملة واحدة واشتراكهما في الخبر كما قال
تعالى لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وكما قال لا ام لي ان كان ذاك ولا اب
معناه وصفته بحسن صحبتها وجميل عشرتها واعتدال حاله وسلامة
باطنه وتشبيها به وضرب المثل بليل تهامة من بلاد الحجاز مكة
وما ولاها بلاد حارة راكدة الريح وبهذا سميت تهامة قال الاصمعي العرب
تقول اذا انحدرت من ثنايا ذات عرق فقد اتهمت الى البحر واذا تصوبت
ثنايا العرج فقد استقبلت الاراك والمرخ وسميت تهامة وانشد عمرو
نجد برد نجد بعيدا لعين نبا تهامة في حمامها المتوقد وقال الحسن المدني
تهامة ما استطال من جزيرة العرب بين بحرها الغربي والسراة وكانت
فيه طمأنينة وحرارة قال القاضي فليلها لا قر فيه اي ليس فيه رياح
باردة شديدة ولا حر لان برد الليل على كل حال يطفيه ويكسر سورته
فهو معتدل وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيب الليل والاصايل والظلال
وقد اكثر في ذلك شعراؤهم ومنه قال بعضهم الم تعلما ان المصلى مكانه
وان العقيق ذا الظلال وذا البرد وان بها لو تعلمان اصايلا وليلا رقيقا
مثل حاشية البرد فيقول لا اذى عنده ولا مكروه وكمثل هذه الليلة ليس فيها
حر ولا برد ولا ريح لان في الريح والحر والبرد اذا اشتدت ويقول لا عنده لهم
غائلة ولا شر فاخافه ولا يسأمني فيمل صحبتي ويكون هذا معنى قولها
ولا مخافة او يرجع قولها ولا وخامة الى صفة ليل تهامة لان بلاد تهامة
واشباه بلاد الحجاز وبخاصة صحيحة الهواء عذبة وخمة ولا وبيئة وقد يكون قولها
ولا وخامة اي انه لا يغني زوجها ليس فيه ثقل ولا وخامة بل هو حلو الشمائل
خفيف على المصاحب مستلان الجانب وقولها في الرواية الاخرى ولا مخافة
خلفه ولا امامه قال ابن الانباري تريد ان بلد تهامة لا يخاف اهله من
امامهم ولا من خلفهم لتحصن اهله بالجبال ويحتمل عندي انها تريد خلفه وامامه
على زوجها اي انه مأمون لا يخشى مضرته من جهة من جهاته كما قالت
ولا مخافة او يخبر انه حام لذمار جاره مانع لحوزة داره وجاره وصفته
بالكرم والسخا فقولها والغيث غيث غمامة اي ان جوده ينهل ويحيى به

الانام

الانام كغيث الغمام غريب قول الخامسة زوجي ان دخل فهد قال
ابن عبيد تصفه بكثرة النوم والغفلة على وجه المدح له وقولها ان خرج
اسد تمدحه بالشجاعة اي صار كالاسد يقال اسد الرجل واستاسد اذا صار
كذلك وقولها عما عهد اي رآى في البيت وعرف قال ابو عبيد لا يتفقد
ما ذهب من ماله ولا يلتفت الى معايب البيت وما فيه فهو ساه عن ذلك وقولها
هذا يقتضي تفسيرين لعهد احدهما عهد قبل فهو يرجع الى تفقد المال و
الثاني عهد الان فهو بمعنى الاغضاء عن المعايب والاحتمال وقال ابن ابي اويس معنى
ان دخل وثب علي وثوب الفهد وان خرج كان كالاسد جراءة وقد اما فهو له وثب
علي يحتمل ان يريد به البطش لها والضرب لها او يريد بها المبادرة الى جماعها
وكثرة الحظ من استمتاعها او سوء خلقه وذلك دون ملاعبتها وتقديم الايناس
قبل الايناس لمواقعتها قال ابن حبيب وصفته بانه في اللين والدعة
والغفلة عندها كالفهد واذا خرج كان كالاسد في شجاعته ولم ترد النوم
كما قال شارح العراقين فقال ورد للنبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا في
وصف علي رضي الله عنه وذم من كان بخلافه وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يبغض الذواق المطلاق الذي اراه لا ياكل ما وجد ويسال عما فقد
وهو عند اهله كالاسد وكان خارجا كالثعلب لكن علي لفاطمة ياكل ما وجد و
لا يسال عما فقد وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد قال الفقيه القاضي
ايده الله والاولى ان تكون ذكرهم هذا على معنى الاستعارة جعلت كثرة
تغافله كالنوم والله اعلم لاسيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشر
وهذه كلها خلق مدح وهي راجعة الى ما اشار اليه ابو عبيد ومما يبينه قولها
ولا يسال عما عهد وكثيرا ما وصفت العرب الكرماء والسادة بالتغافل والحيا
في بيوتها وانديتها قالت ليلى الاخيلية فجا له وسط البيوت من الحيا سقيما
وقال الاخر ◦ نزر الكلام من الحيا تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم ◦ وقال
الاخر كريم يغض الطرف دون خبائه ◦ ويدنو اطراف الرماح دوان واما
كثرة النوم فمذموم وقلته محمودة دالة على اليقظة والذكاء قال الهذلي
فاتت به حوش الفؤاد مبطنا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ◦ وقال الاخر
ابا ما لهجال المسهد ◦ وقال عبد الملك بن مروان لمعلم بنيه علمهم العوم وخذهم



واقضلهم

بعلة النوم قال الفقيه القاضي رضي الله عنه وقد يظهر لي فيه وجه اخر مع
صحة ما ذكروه وبيانه ان ذلك نحو سوا قولها فهد على الاشتقاق من خلق الفهد
والمثل المضروب به في النوم وفي الفهد ايضا مثل اخر ذكره اصحاب الامثال
كما ذكروا الاول وهو قولهم اكسب من فهد قال ابو عبد الله حمزة الاصبهاني في
شرح الامثال وذلك ان الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد تجتمع على فهد
فتي فيصيد عليها كل يوم شبعها قلت فلا يمتنع ان يكون قولها
اذا دخل فهد اي اذا جاء المنزل جاء بالكسب والخير والغنائم كما يفعل الفهد
في كسبه ولا فرق بين هذا التاويل وبين الاول اذ كل واحد منهما اشتق من
خلق الفهد وكانت العرب تتمادح بالكسب والاستفادة وفي حديث ابي بكر
انك تكسب المعدوم ومثله في وصف ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا
احد التاويلين في هذين الحديثين وقال المساور بن هند من اناشيد ابي تمام
تجرد فيها مقلقا للمال كاسبه فلا يبعد هذا التاويل عندي وان كان الاول
اظهر واليق بالكلام لمطابقته لفظه ومعناه قولها اذا خرج اسد كما سنبينه
عند الكلام على ما فيه من البلاغة وابواب الفصاحة ان شاء الله كما ان
ايضا قولها ولا يسال عما عهد من معنى اذا دخل فهد اذا على التاويل
الاول وفيه مطابقته ومماثلته للتاويل الثاني فحمل كل فقرة على معنى مفردة
اولى بالكلام الفصيح واسعد عربية قولها فهد فعل مشتق من
الفهد باتصافه بوصفه كما ذكرنا مثل قولها اسد فعل مشتق من الاسد
ايضا كذلك وكثيرا ما اتت التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل
وقد يحتمل ان يقال ان فهد ههنا اسم ويكون خبر المبتدا مضمر اي هو فهد
كما قال صلى الله عليه وسلم الحمو الموت وكما يقول زيد الاسد اي مثل الاسد
ويكون كسر الها ههنا كما قالوا فخذ وفخذ او للمناسبة قولها اسد في السجع
الاخر وهو باب من الاتباع تستعمله لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مازورات غير ماجورات وحقه موزورات
من الوزر ولكن حمله على لفظ ماجورات لتحسين الكلام وللعرب في هذا
الباب مذهب معلوم ويعضد هذا التاويل انه قد روي فهد وفسد
وقد يحتمل ان يكون ها هنا للفعلتان اسما الفاعل من فهد واسد وكثيرا ما

جاء

جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كحرج وحجل ووجل وعمر وشرق وبرق
وفرق في مثل كثيرة لكن حمل ذلك على فعلين ويحسن في القرينين افصح وتقابلاهما
اسهل للكلام واسمح معناه وصفته بانه كريم الطبع نزه الهمة حسن
العشيرة لين الجانب في بيته ليس يتفقد ما ذهب من ماله ولا يلتفت
الى جانب بيته ولا يطالب ما افتقد منه وعهده فيه من طعام او ماكول لغنى به
ولا يسال لعفته لسخاوة نفسه وسعة قلبه فكانه ساه او نائم او غافل عن
ذلك فشبهته بالفهد لذلك وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق وقد
قيل العاقل الفطن المتغافل وبينت ذلك بقولها ياكل ما وجد فعرفت انه
نزه الهمة قنوع النفس ليس بنهوم ولا لغموظ ثم اكدت ذلك كله سخاوة وجافه
بقولها ولا يرفع اليوم لغد اي انه لا يعد الزاد ويدخر بل يغنيه من يومه
ويجود به لحينه ويوسع عيشه من معه في جميعه وقد كانت هذه خلق
نبينا صلى الله عليه وسلم واشرف العرب وقد نهى صلى الله عليه وسلم
عن خلاف هذا فروي عنه انس انه قال كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
ثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد قال انا الامام ابو القاسم البلخي يعرف
بابن شاقور قال انا القاضي ابو علي الوحشي وغيره قال انا ابو القاسم
الخزاعي ثنا الهيثم بن كليب الشاشي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة
بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس وروي عنه ان خادما له
خبا له شيئا من بعض طعامه فاتاه به من الغد فقال له الم انهك عن هذا
ان الله ياتي برزق غد وقد تقدم حديثه في ذكر علي وقد قال النابغة
في هذا المعنى ولست بخابئ ابدا طعامي حذار غد لكل غد طعام
تنبيه ان قيل كيف تصح ما تاولته من هذه الاحاديث ان
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها ولا يسال عما عهد على
التفسير الذي ذكرته وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وقد
اتي باذم من ادم البيت فقال الم ار برمة فيها لحم فقيل لحم تصدق
به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية كان الجواب
ان ما تاولته ظاهر بين من الاحاديث المذكورة ونص بالفظه في حديثه
حديث علي كما قدمناه واما قصة بريرة فليس من هذا فان السوال

عمّا عهد يقيل والاستقصا عنه والمناقشة في حديث ذهب هو للتسوم
واما استدعاه النبي الحاضر العتيد كلحم بريرة فليس من هذا فكيف وقد
يمكن سؤاله عن لحم بريرة ليبين لهم هذه السنة التي هي احد سنن
الحديث وقد يعلمه صلى الله عليه وسلم اذ قدموا اليه ادم البيت و
تركوا سيد الادم اللحم وهو حاضر انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم
عاما في مثل هذا وذلك ان هذا قصد احتجاجهم عليه بانه صدقة فبين
لهم صلى الله عليه وسلم سنته لذلك وقد يحتمل ان يكون قولها
ولا يرفع اليوم لعله كناية عن الحزامة والاخذ بالجد في امره وترك
التواني فيما يهمه به ووصفته على التاويل الاخر بالاحسان والاستفادة
والوفر والتوسعة على اهل منزله ثم وصفته ايضا بالشجاعة اذا خرج
للناس وباشر الحروب فكانه الاسد الذي يخافه كل سبع وبقولها اذا خرج
اسد تم مدحها له بقولها اذا دخل فهد على التاويل المشهور اذ قد كان
يظن ان ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة
مهانة وفسوله ولكن لما ابانت انه خارجا بخلاف هذه الصفة بان
ذلك منه سجية كرم وشمايل نزاهة همة وحسن عشرة واما رواية من
روي واذا خرج فهد وهو بخلاف ساير الروايات المشهورة الصحيحة
لذلك والقلاب المعنى الذي فسرنا من تقدم الا انه قد يظهر لي فيه
وجه وهو ان يكون معنى اذا خرج فهد تصفه في البذي بالرزانة والسمت
والحيا والحلم والاغضا تشبيها بالفهد وذلك انه حيوان ثقيل كثير
النوم على سريع الوثب موصوف بالحيا وقلة الشره وانها وصفته
اذا خرج بالكسل والتجعد كما فسرناه في صفات الفهد ويكون ثنا وبل
واذا دخل اسد ان يكون وصفته بالكرم في بيته وبين اقاربه والتفضل
والمواساة فالاسد يوصف بذلك وقالوا في المثل اكرم من اسد وذكر اصحاب
الحيوان ان الاسد اذا افترس اكل بعض فريسته وترك لمن يجتمع حوله من
الوحوش ولم يهاوشهم عليها ولا دافعهم عنها وانه قلما تعرض لصبي
ولا امراة ولا نايم كرم طباع ونزاهة نفس فيقول على هذه الرواية انه
داخلا كالاسد كرم اخلاق ونزاهة نفس وانه خارجا كالفهد تغافلا

واعضا

واغضا وسمنا وحيا او جمعًا للمال وكسبا وهذه مادحة زوجها على راي
الجماعة وهو ظاهر مذهب عروة بن الزبير في سرد الامام بجملته وقد
حمل ابن الانباري بعض هذه تفسير ابن ابي اويس على الذم وبعضه
على المدح وهو يحتمل ان يكون مدحا او ذما كله او منقسما بينهما
فان تفسيره فهد بوثوبه وثوب الفهد عليها يحتمل كما ذكرناه وتفسير
اسد بالجراة على الناس والاقدام يحتمل للمدح والشان ان اراد به الدفاع
وحضور الهيجا ومقتضى للذم ان كان اراد به الظلم وان كان من العرب
من يمدح ايضا بهذا الوصف اذ هو دليل عن الجانب وعدم الخوف
غريب قول السادسة قولها اذا اكل لف اللف في الاكل الاكثار منه
والتخليط من صنوفه واستقصاوه حتى لا يبقي منه شيا ومن روى رف
فمعناه الاكثار من الاكل حكاه الهروي يقال منه رف يرف ومن روى قتف
فمعناه قريب من هذا قال صاحب العين القفان الجماعة وقفان كل شي جماعه
واستقصاوه قال الفقيه القاضي ادام الله عزته ومن هذا سميت القفة
لجمعها ما جعل فيها وضمه قال صاحب الجمهرة القفة وعاء يجعل فيه المراة
غزلها وشبهه ومنه والله اعلم سمي القفاف الذي يسرق بكفه لانه يجمع
ويضم قال الشاعر قفف بكفه سبعين منها والاستفاف في الشرب استقصاما
في الاناء فاذا شربها صاحبها قيل اشتفها ومن استف بالسين المهملة
فمعناه قريب من الاول في استقصاء الاكثار وقولها واذا اضطجع
التف يعني رقد ناحية ولم يباشرها ويروى رقد وهجع وهما بمعنى
واحد وقولها ولا يولج الكف اي يدخل يده ليعلم البث اصل البث الحزن
اي فيعلم ما اهتم به ويحزنني امره ويسببه معناه قال ثابت والبث
ايضا الامر الذي لا يصبر عليه والبث الشكوى قال الله تعالى انما اشكو بثي
وحزني الى الله وفيه لغتان بثثت وابثثت ومنه قول بعض العربيات
لقد ابثثتك مكتومي واطعمتك مادومي اي اخبرتك بسري ومن رواه الليث
فمعناه ان لم يكن وهما الاقامة والصبر عليه وقولها واذا ذبح اغتث فمعناه
عندي اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من غنمه وقد فسرها ان الغث الهزيل
معناه هذه امراة ذمت زوجها فوصفته اولا باللوم والبخل والبرم

والتهامة والجزاءة وسوء المعاشرة والمرافقة وانه لا يبقي فيما يأكل ويشرب
ولا يبقيه ويجمع كل ما يجده من ذلك فيحطمه وليس هذا من مكارم الاخلاق
والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب وتمتدح بقلتهما قال الشاعر
تكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشوا ويروي شربه الغمر • وقال لا يتارى
لما في القدر يرقبه ولا تراه امام القوم يقتفر • وقال الاخر • يبهجون بفضله
الشتم اقل الناس عند لوائهم • واكثرهم عند الذبيحة والقدر • وفي
صفة نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يجتزي بالعلقة قال الشاعر واجتزي
من قفاف العيون بالعلق • العلقة البلغة • وقد قيل لكل كريم فضله •
وللارض من كاس الكريم نصيب • ويروي عن جرير بن عبد الله انه قال
لبنيه يا بني اذا شربتم فاسئروا اي اتركوا في الاناء سؤرا وهو بقية
الشراب وفي حديث اخر فانه اجمل ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا خير
في طعام ولا شراب ليس سؤر وفي المثل ليس لي ري عن التشاف ثم ذكرت
وصفه باللوم فانه نزل به الاضياف واضطر الى الذبح لهم عدل عن
خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديئه وما لا خير فيه وهو قولها
اذا ذبح اغتث وهذا نهاية في اللوم وكانت عادة اجواد العرب ضد هذا
من اختيار جيد المال للاضياف كما قال بعضهم فاعمدنه الطولى سناما
وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير وقال الاخر ايضا يشفي به كل ما باع مودة عه
عرفا يشتق عليها تامك سنم • وقال الاخر اذا القوم اموا بيته فهو عامد
لاحسن ما ظنوا به فهو فاعله • وقال الاخر يصف ناقة عقرها للضيفان •
فصادف السيف منها ساق متلئة • جلس فصاد فمنه ساقها عطبا •
زيافة بنت زياف مذكرة • لما نعوها لراعي سرحنا انتحبا • ثم وصفته بعد
بقلة الاشتغال بها والتعطيل لها وانه اذا نام التف في ثيابه ولم يضاجعها
ولا ادناها من نفسه وانه لا همة له في الباه صفة التي هي ممادح الرجال
فان العرب كانت تتمادح بالقوة على الجماع لانها دليل صحة الذكورية
وبذم بضده كما قالت الاخرى عياياء • واختلف المتأولون في معنى قولها
ولا يولج الكف ليعلم البث فذهب ابو عبيد الى انه كان بجسدها داء
او اداء بكربها ويحزنها فكان لا يدخل يده في ثوبها ليلمس ذلك العيب

فيشق

فيشق عليها فان هذه خصلة مدحته بها ورد القتبي والخطابي منهم وجها
وابن حبيب وابن الاعرابي وغيرهم عليه هذا القول وقالوا انما شكت
هذه الخصلة من زوجها وذمته بذلك واستقصرت حظها منه وانه لا
يضاجعها ولا يدنيها وينام ناحية منها كما قالت واذا رقد التف ولا
يدنيها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها
ما يكون من الرجال لازواجهم فيعلم بثها بذلك ومحبتها له وحزنها
لعدم ذلك منه لها وقلة تفقده لحاجته منها قالوا وليس في الحديث
ما ذهب اليه ابو عبيد من انها مدحته بالغفلة عن داء كان بجسدها
لانها قد ذمته في صدر كلامها • قال الانباري ولا حجة على ابي عبيد في هذا
لان النسوة كن تعاقدن على ان لا يكتمن شيئا من اخبار ازواجهن
فمنهن من وصفت زوجها بالخير في جميع الامور ومنهن بضد ذلك
ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر قال الفقيه القاضي وفقه
الله ويؤيد ما ذهب اليه القتبي واصحابه من معنى الذم ما اشار اليه
عروة بن الزبير في بعض طرق هذا الحديث فانه قال في خمس يذممن
على التوالي في حديث بدأه منهن فقال هن لا خمسه يشكون ناه ابو
بكر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه قال حدثنا ابو الحسن بن ايوب
نا ابو علي بن شاذان نا ابو عمرو بن السماك نا حنبل بن اسحق نا موسى
بن اسمعيل ابو سلمة المنقري نا سعيد بن سلمة عن هشام بن عروة عن
اخيه عن ابيه عروة وايضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل
في الكلام والمستحسن في الكناية ومثله في حديث عبد الله بن عمرو وان اباه
زوجه امرأة قرشية فتشاغل عنها بالعبادة فدخل عليها عمرو بن العاص
فسألها كيف تجدينه قالت كخير الرجال من رجل لم يفتش لنا كنفا
فهذه الكناية بمعنى تلك ومثله في حديث عائشة وو صفت رجلا
بالعفة فقالت ما كشف من كنف انثى قط اي انه لم يكن يشتغل بالنساء
ولا له فيهن مذهب فعبرت عن ذلك بكشف الكنف وهو الثوب
الذي يكنفها اي يسترها ومنه فلان في كنف الله وحفظه اي ستره
نا بحديث عبد الله بن عمرو ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ

بقراءتي عليه قال حدثني ابي ومحمد بن محسن الفقيه قالا نا القاضي يونس
بن عبد الله قال نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم عن ابيه ثابت بن
قاسم بن ثابت وجده ثابت قالا اخبرنا موسى بن هرون نا موسى ابن
الصباح انا هشيم عن حصين ومغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو
نا العصبه ومثل قول هذه المراة قول اخرى لزوجها تعيره ان شربك
لاشتفاف وان ضجعتك لانجعاف وان شملتك لالتفاف وانشد القتبي
القتبي لاوس بن حجر هذا وهبت الشمال البليل واذ بات كميع الفتاة
ملتفعا اي ملتفا ناحية قال القاضي ايده الله وقد يحتمل عندي قول
هذه المراة ان شملتك لالتفاف وقول صاحبة ام زرع واذا رقد التف
معنى غير هذا وهو ان يريد ضعف ازواجهما وعجزهما وقلة نفعهما
وحمايتهما لانه لا ينام هذه النومة الا العاجز القليل الغناء ولهذا
ذموا النوم ومدحوا ضده كما تقدم ولهذا سموا الرجل الضعيف
العاجز القليل الغناء زميلا وزملا وقال بعضهم اصله من التزمل
اي انه اذا نام تزمل في ثوبه وتلفع في دثاره ولم يهتم بحراسة
شانه ولا حماية ذماره ولهذا قالت هذه المراة في اخر كلامها وذمها
وانك لتنام ليلة تخاف وقالت التاسعة من صواحب ام زرع
تمدح بضده لا ينام ليلة يخاف وقال الشاعر فلا تصلي بكل فتى
نؤوم اذا امسى يعد من العيال وقيل ان معنى قولها لا يولج الكف انه
لا يتفقد اموري وما يهمني من مصالحي وهو كقولهم ما ادخل يده في الامر
اي لم يشتغل به ولم يتفقد فضربت المثل بذلك قاله احمد بن ناصح
ونحوه عن ابن ابي اويس تفسير قول السابعة قولها عياياء
وفي الرواية الاخرى او غياياء وهو شك من الراوي قال ابو عبيد هكذا يروى
بالشك تنبيه قال القاضي ايده الله الاكثر روايته بغير شك
وانما رواه بالشك اصحاب عيسى بن يونس عنه وعقبة ابن خالد السكوني
وبين هشام بن عمار في حديثه هذا عن عيسى ان الشاك فيه عيسى وسائر
الرواة يقولونه بالعين مهملة دون شك غريبه قال ابو عبيد
الصحيح عياياء بالعين فاما بالمعجمة فليس بشيء والعياياء من الابل التي

لا يضرب النوق وكذلك في الرجال كناية عن ذلك قال الهروي العياياء
العيي الذي تعييه مباضعة النساء واراه مبالغة من العي في ذلك
قال الشاعر مغتلم الوجه عياياء سادر وقال ابن ابي اويس عياياء
طباقاء عيي مطبق عليه لا يتصرف ولا يتوجه لوجه قال ابن السكيت
العياياء العيي الذي لا يهتدي لوجهه تنبيه قال القاضي
رضي الله عنه وقول ابي عبيد ان الغياياء بالغين المعجمة ليس بشيء
ولم يفسره وتابعه على ذلك سائر الشارحين وقد ظهر لي فيه معنى
صحيح في اللغة بين في التاويل وهو ان يكون ماخوذا من الغياية وهو كل
ما اظل الانسان فوق راسه من سحاب وغيره ونحو ذلك ومنه سميت الراية
غاية فكانه غطي عليه من جهله وستر عنه مصالحه وهو كقولهم طباقاء
قال ابن الاعرابي الطباقاء هو المطبق عليه حمقا قال ابن دريد هو الذي
ينطبق عليه اموره فلا يهتدي لوجهها قال الاصمعي هو الذي اموره
مطبقة عليه ونحوه عن يعقوب وقال ابو عبيد هو العيي الاحمق الفدم
وكل هذا قريب بعضه من بعض فلا فرق اذا بين قولها غياياء بالغين
وطباقاء فلا يصح اذا قول من قال ان الغين ليس بشيء وقد يمكن
ان يكون ايضا ماخوذا من الغي وهو الانهماك في الشر ومن الغي وهي
الخيبة قال الله تعالى فسوف يلقون غيا قيل خيبة وقيل غير هذا كانه
خاب من كل فضيلة وقال ابن ولاد فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو
ولا سفر وقال الخليل الطباقاء الاحمق والطباقاء البعير الذي لا يضرب
وقال ابو عيسى عبيد عن الاصمعي العياياء الطباقاء من الرجال والابل
وحكى ابو علي عن بعضهم الطباقاء من الرجال الثقيل الصدر الذي يطبق
صدره على صدر المراة عند المباضعة وهو مما تذم الرجال عند النساء
ويروى ان ام جندب قالت لامرئ القيس وكان مفركا للنساء انك لثقيل
الصدر خفيف العجز سريع الاراقة بطيء الافاقة تنبيه ان قيل
يرد هذا التفسير ما تقدم من تفسير عياياء انه العي عن المباضعة فكيف
يوصف مرة بالعي عنها ومرة بثقل الصدر فيها قيل هذا لا يلزم اذ قد
يكون عييا في حين طباقا في حين وقد يمكن ان يكون اطباقه صدره

من سبيل لعي والعجز لمعالجة ما لا يقدر عليه ومعاناة ما قد اعياه وقولها
كل داء له داء اي كل ما تفرق في الناس من الادواء والمعايب جتمع فيه
وقولها شجك او فلك او بجك اي جرحك في الراس والشج في الراس
والفل في سائر الجسد قال ابن دريد الفرجة ان استفرغها وكل شق
بج وقال الاخر بج المراد منكر او وقفا وقال الزهري البج الطعن
قال ابن الانباري يقال فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ونحوه عن ابي
اويس ويقال كسرك بخصومته وعد له غريبه فقوله
جماقاطعا قا من ابنية المبالغة وكذلك قولهما عيايا وغيايا وهو من الكلمات
التي على وزن فعالا ومن الابنية التي الحقت فيها الالف ومثالها في
الاسماء ثلاثا وعجاسا وبركا معناه وصفته بالحمق والتناهي
في جميع النقائص والعيوب وسوء العشرة مع الاهل وعجزه عن حاجتها
مع ضربها واذاه اياها وانه اذا حدثته سبها وان مازحته شجها
واذا غضب اما شجها في راسها او كسر عضوا من اعضائها او هو معنى فلك
ومنه قيل للمنهزم فل اي شق جلدها وطعنها ويقول معنى جمع كل
او جمع ذلك كله لها من الضرب والجرح وكسر الاعضاء والكسر بالخصومة
وموجع الكلام واخذ مالها غريب قول الثامنة قولها الزوج
المس مس ارنب والريح ريح زرنب الزرنب ضرب من الطيب معروف عند
العرب قال الشاعر يا بابي انت وفوك الاشنب . كانما ذر عليه الزرنب
او زنجبيل فهو عندي اطيب واختلف اصحاب النبات من القدماء
والمتاخرين في صفته قال بعضهم هي شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام
لا ثمر لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة يشبه ورق الخلاف ورايحته
كرايحة الاترج ويستعمل ورقه وقضبانه وقال اكثرهم انها حشيشة
دقيقة طيبة الرايحة قال بعضهم يشبه ورق الطرفاء اصغر كرايحة
الاترج من الافاويه الطيبة ولهذا استعملها العطارون ويخلط
بالطيب لعطريتها ويسمى رجل الجراد لشبهها بها وليست من نبات ارض
العرب وانما ذكرتها معناه تصف زوجها بلين الجانب للاهل
وحسن الخلق والعشرة فهو كمس الارنب للاستلذاذ بمحبتها ولذ دنيه وبرها

اما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تاويلات احدها انها ارادت طيب
جسده وعطشه رايحته والثاني انها ارادت لين عريكته وحسن خلقه
فيكون بمعنى الفصل الاول ثم وصفته بالشجاعة والحزامة واكدت
ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بقولها واغلبه والناس
تغلب وهذا مثل ما وقع في الحديث ان الاعشى الحرمازي لما زنى
انشد النبي صلى الله عليه وسلم ارجوزة يشكو فيها امراته قال
في اخرها وهن شر غالب لمن غلب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يتمثل بذلك ويقول وهن شر غالب لمن غلب ومنه قول المعاوية
يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام غريب قول التاسعة
رفيع العماد اصله عماد البيت وهي العمد التي يعمد بها البيوت
وجمعه عمد وعمد واعمدة وقولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف
والنادي مجتمع رجال الحي ومجلس مشورتهم وحديثهم ويقال ندى
ومنتدى قال الله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر وقال احسن نديا معناه
قولها رفيع العماد وصفته بالشرف في نسبه والسودد في قومه واستعارت
لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العماد من بيت المسكن المرئية
كما قال . فاما بيتكم ان عد بيت فطال السمك واتسع الفناء
واما اسه فعلى قديم من العادي ان ذكر البناء وقد قيل في قول
السموءل ابن عاديا . لنا جبل يحتله من نجيره . منيف يرد الطرف
وهو كليل رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل
المعنى به شرفهم وحسبهم ومثل اراد حصنه الابلق الفرد وقد قيل
ان معنى قولها رفيع العماد على ظاهره وانما ارادت عماد البيت نفسه
اذ هي بيوت الاشراف واهل السودد وقال ابن ابي اويس ارادت ان
البيت طويل من الرجال وقد روي طويل العماد فيكون طوله اما لطول
ساكنه وامتداد قامته كما اشار اليه ابن ابي اويس او لكرمه واظهار
بيته ليراه الوارد ويهتدي برفعته سمكه له القاصد والجلا له
مكانته وسعة ثروته وحاجته الى اعلا سمائه وتوسعة ارجائه
ليحمل كثير حضره وجماع غاشيته ومنتابي بره الا ترى قول ام زرع بيتها

فساح وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء • طويل النجاد رفيع
العماد ساد عشيرته امردا وعليه حمل ثعلب قول الاعشى طويل النجاد
رفيع العماد يحمي المضاف ويعطي الفقيرا وقد وصف ابو الطيب حميد
سيف الدولة فقال وتركن خيس الفتى الذنيل ودمنوا بصنه هذا فقال
بعضهم اذا دخلوا بيوتهم اكبوا على الركبات في فخر العماد • وقال
الاخر فخما البيوت لا ترى صهوة نهار اللوم حبشامون عند الترايب وقد يكون
يريد بالعماد البيت ومعنى رفعته اشرافه لموضع مرتفع ليقصده الاضياف
ثم وصفه بالكمال في صورته وامتداد القامة في بنيته وعرض
لذلك بقوله طويل النجاد فان الطويل القامة يحتاج الى تطويل نجاده
وهذا مما يتمادح به الشعراء وتذم بضده قال عقيل بن علقمة طويل
نجاد السيف هم كانوا نصولا اذا استنجدته لقيل وقال ابو خراش
طويل نجاد السيف ليس بجيدر • اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل وقال
مروان بن ابي حفصة قصرت حمائله عليه فقلصت • ولقد تانق فيتها
قاطعها • وقيل معنى قوله رفيع العماد اي طويل قال المبرد يقال للرجل
طويل العماد اذا كان معمدا طويلا ومنه حديث يزيد بن ابي سفيان عند معوية
فقد علمت يعني قريشا انا اصحبهم وجوها واطولهم عمدا واسعدهم
جدودا فعلى هذا يكون طويل النجاد تاكيدا لما تقدم وفي ضمنه
انه صاحب سلاح وشكة فلم يقتصر من الاصل طوله على
طول نجاده دون غير ذلك من ملابسه ثم وصفه بالكرم في سجيته
والجود بما في يده ويحتمل ذلك بقولها عظيم الرماد وذلك ان من
كثر ضيفانه ونحر لهم واشتواه وطبخ اطعمتهم كثرت ناره
وكثر رماده فهذا تاويل حسن وقد كثر في هذا الشعراء فقال بعض
العرب زياد بن حمل من ابيات ابي تمام كم فيهم من فتى حلو شمائله
جم الرماد اذا ما اخمد البرم • ومنه ناء وقيل اخر ذهب اليه الخطابي
ان يكون نارا لا تطفا ليلا ولا نهارا ليهتدي له الضيفان كما قال
الشاعر متى تاته تعشو الى ضوء ناره • تجد خير نار عندها خير موقد •
وكانت عادة اجواد العرب وقود النيران في ظلم الليل على مسارق الارض

لتنابها

لتنابها الضيفان وربما رفعت على الايدي منها الاقباس قال الشاعر
ومستنبح بات الصدى يستتيهه • فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوبا ضرامها لتبلغ لي الساري هلم الى القدر وقال
اخر • ومستنبح قال الصدى مثل قوله حضات له نارا لها حطب جزل
وقمت اليه مسرعا فغنمته مخافة قومي ان يفوزوا به قبلي حضات و
حضوت النار اذا حركت جمرها وقال اخر • واني لادعو الضيف بالضوء بعدما
كسى الارض نضاح الجليد وجامده • ثم اكدت ذلك بقولها قريب البيت
من النادي تريد بذلك انه ينزل بين ظهراني الناس ومجتمع الحي ومقصد الوارد
وطالب الضيافة ليكثر اضيافه ولا يتوارى باطراف الحلل واعوار المنازل
ويبعد عن سمت الوارد فرارا من القاصد وملاذا من الطارق ليلا
يهتدوا الى مكانه • ويستبعدوا موضعه فيصدفون عنه ويميلون
الى غيره قال زهير بسط البيوت لان يكون مظنة • في حيث توضع
حفنة المسترفد اي يتوسط البيوت ليكون معلما للضيافة طالب الرفد
وقال ابن هرمة • اغشى الطريق بقبتي ورواقها • واحل في نشز الربا
فاتيه • وقال طرفة • ولست بحلال التلاع لبيته ولكن متى
يسترفد القوم ارفد • وقال اخر • له نار تشب على يفاع • اذا النيران
البست القناعا اي سترت بوقودها في الغيطان وتلاع الاودية
وقنعت بذلك عن ان تظهر وفي قولها ايضا قريب البيت من النادي معنى اخر
دلت به على شرفه وزعامته وذلك ان الاندية انما يجتمع فيها بقرب
ابيات السادة ومنازل الزعماء الذين يعني اليهم ويجتمع لهم وفي قولها
لا يشبع ليلة يضاف • ولا يامن ليلة يخاف • وصفته بكرم النفس
وشبعها ونزاهتها وايثارها وقلة همته بالاكل وشرهه له وانه اذا
ضيف واحتفل في اكرامه واكثر من طعامه لم يكن همه شبع بطنه واكتفى
باليسير واقتصر على ما يقيم صلبه ويرد قوته منه ولم يظهر الحرص
على ما لديه من طعامه والجشع للاكثار من اكله واغتنامه اخذه
ما يسد جوعته ويتجافى عن الاكثار منه وخاف معرته كما قال حاتم •
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشى • محاذرة من ان يقال لئيم • وكما قال

دريد • تراه خميص البطن والزاد حاضر • كثير ويغدو في القميص المقدد •
وكما قال الاخر • اقسم بطني في بطون كثيرة • واحسو قراح الماء والماء
بارد • وقال الاخر وهو حاتم • اكف يدي عن ان ينال التماسها • اكف
صحابي حين حاجاتنا معا • ابيت هضيم الكشح مضطمر الحشى من الجوع
اخشى الذم ان اتضلعا • واني لاستحيي رفيقي ان يرى مكان يدي
من جانب الزاد اقرعا • وانك مهما تعط بطنك سؤله • وفرجك نالا
منتهى الذم اجمعا • وقال طرفة يمدح نفسه ويهجو غيره
بضده • ويشرب حتى يغمر المحض قلبه • وان اعطه اترك لقلبي مجثما •
وقال عروة بن الورد • يعد الغنى من دهره كل ليلة اصاب قراها
من صديق ميسر • وهذه كانت وصايا العقلاء وخلق الحكماء والانبياء
واشراف العرب فقد ثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي من كتابه قال ثنا ابو
اسحق ابرهيم بن سعيد ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا حمزة بن محمد الحافظ ثنا احمد
ابن شعيب ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن معاوية بن صالح قال
سمعت يحيى بن جابر يحدث عن المقدام ابن معدي كرب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما وعا شرا من بطن وفي غير هذه الرواية ما ملا ابن
ادم وعاء شرا من بطن حسب المسلم اكلات وفي غير هذه الرواية لقيمات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ويروى عن بعض الحكماء مثله وقال ودع الثلث للتفكر اشار الى
قولهم البطنة تذهب الفطنة ويروى عن لقمان انه قال لابنه لا تاكل
شبعا فوق شبع فانك ان تنبذه للكلب خير لك من ان تاكله ونحوه قول
الطرماح انشد الفتى • يمشي ويصبح جوفه من قوته • وبه لمختلف
الاهوية مجار • ويبيت خلفهم كانه وطب يكون اناه بالاسحار •
وقال حميد الارقط • اتانا ولم يعدله سحبان وائل • بيانا وعلما بالذي
هو قائل • فما زال عنه اللقم حتى كانه • من العي لما ان تكلم باقل • وقد
يحتمل ان يكون معنى يضاف ينزل به الضيفان يقال ضفت الرجل اذا نزلت
به واضفته املته الى ضيافتي يقول فهو لا يشبع لايثاره هم بما عنده
وتقديمهم على نفسه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم

خصاصة

خصاصة وكما قال طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصا وجاديه على
الزاد حامد • وقد جمع هذه المعاني بعض شعراء العرب • فقال • وزاد
وضعت الكف فيه تانسا • وبي لولا الا انسد الضيف من اكل • وزاد رفعت
الكف عنه تكرما • اذا ابتدر القوم القليل من البقل وزاد اكلناه ولم ننتظر به
غدا ان يخل الدهر من اسواء الفعل كذا انشده وفسره صاحب الحماسة وقد
يصح ان يكون الثقل قال الحرمي في الثقل طعام القرى • ما ذاق ثقلا بعد عام
اول • ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية النماء احيان الخوف واوقات
الذعر وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينام بل يباشره بنفسه وتلقاه
بحشاشته كما قال غير مبل ولا تكسر وكل غريب قول العاشرة
المزهر العود الذي يضرب به ويغنى به والمسارح المراعي البعيدة يقال
سرحت الابل فسرحت اللازم والمتعدي واحد قال الله تعالى حين تريحون
وحين تسرحون والمبارك نحو منه وهي حيث تبرك والمهالك مهلكه
غريبته قولها مالك وما مالك ما ههنا استفهام فيه معنى
التعظيم والتهويل والتعجب وهذا كله من معاني ما كما قيل لامر ما تدرعت الدروع
وحقيقة الكلام مالك وما هو اي اي شيء هو ما اعظمه واجله واكرمه
ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة اي الحاقة
والقارعة اي شيء هو ما اعظمها واهولها وكذلك قوله ما اصحاب اليمين
وما اصحاب الشمال ومشبهه اي ما اعجب امرهم واهوله واعظمه في النعيم
او العذاب ولكن تكرير الاسم ادخل من الكناية في باب التعظيم والتهويل كما ان
اللفظ المبهم واستعماله هنا اعم وافخم من التصريح والتفصيل • ومنه
قول الشاعر • يا سيدا ما انت من سيد موطا الاكناف رحب الذراع
واعراب قولها ان ما الاولى مبتدا او لو ما في موضع رفع بالابتدا ايضا
وما لك الثاني خبره والثالث مبتدا ثالث وما بعده خبره وعليه تعرب
الايات المتقدمة الا ان الجملة الثانية فيها موضع خبر المبتدا الاول وجاز
ذلك وليس في الجملة ما يعود على المبتدا الاول فهو كلام محمول
على معنى ما الاولى لفظه وقولها مالك خير من ذلك زيادة في الاعظام
وتفسير لبعض الابهام وانه خير مما اشير اليه من ثنا وطيب ذكر وفوق

لان معنى ما هو اي
هو فيهم يعود على ا

ما اعتقدها ويحتمل ان يعني من سودد وفخر وان قدوره بني على كل قدر وكنت
بذلك اذ كان كالحاضر من قولها او عندها ويحتمل ان يعني بخير من ذلك
ان المثنى عليه قبل وانه اجمع منه لخصال السادة والفضل معناه
هذه وصفت زوجها بالكرم وكثرة الضيافة والاستعداد للضيفان
والمبالغة في برهم واكرامهم ومعنى قولها قليلات المسارح كثيرات
المبارك اي انه لاستعداده للضيفان بلحومها والبانها وكرم خلقه لا
يوجههن نهارا الا قليلا ولكنهن تبركن بفنائه فان فاجاه ضيف
وجدها حاضرة فيقريه من لحمها ولبنها ولم يجدها غائبة عنه فيتباطا
فيما يكرهه بمدة طلبها كما قال بعضهم يمدح ضيفه • ومختبط قد جاء او ذي
قرابة • فما اعتذرت ابلي عليه ولا تفنو • حبسنا ولم نسرح لكيلا يلومنا
على حكمه صبرا معوده الحبس • وطاف كما طاف المصدق وسطها • فخير
منها في البوارك والسدس • وقال اخر وفو لعمها في السنين لفينا اذا لم
تجد مكسبا كاسب • وقال اخر • ومولنا وقف على مبتغي القرا وابنين
المسنجين والجمرا اي ثابتة مقيمة للمعتفين • ومثله قول ام زرع
في وصفها له على الجمم محبوسة وسيأتي تفسيره وهذا قول ابي
عبيد والاكثر وقال بعضهم ان كان لا تسرح الا قليلا من النهار فهن
هالكة هزلا وان كان يسرحهن فقد ضاع اضيافه للبدو والمعنى انها
قليلة المسارح لقلة الابل وكثرة المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم
تبرك فلكثرة ما تفعل هذا بها يكثر مباركها وقال يعقوب بن السكيت
اي مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ومراعيها
قليلة اي انها تكثر لمن شاء بها من الضيفان وطلب الرفد • وانشد
يعقوب قول عروة ابن الورد • يريح على الليل اضياف ماجد كريم وما
لي سارحا مال المعتز • قال يعقوب اذا راح بالعشي راح فيها الاضياف
واذا سرحت بالنهار سرب قليلا لانه لا احد فيها منهم ونحوه لابن
الانباري • وقال اسمعيل بن ابي اويس عن ابيه معناه ان ابله كثيرة
في حال بروكها قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها للاضياف في مباركها
وهذا نحو قول بعض العرب • الى جذام مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه

بوافق

بوافي صحاح لنا حمد ارباب المئين ولا يرى الى بيتنا مال مع الليل رايح
ويكون على رواية من روى عظيمات من هذا المعنى عبر عن الكثرة
بالعظم وقد يكون معنى عظيمات المبارك كناية عن سمنهن وعظم
جثتهن فعبر بعظم مباركهن عن ذلك وقد يكون معنى قليلات
المسارح عبارة عن قلة الامكنة التي يرعى فيها من الارض وانها
لا تبعد في المرعى فيكثر مسارحها ولكن رعيها ابدا بقرب المنزل • وحول
الفناء وبحيث لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ويزول اعتراض المعترض
بهذا لها لقلة رعيها فقد يكون في قرب منازل اربابها ما يغنيها لخصبه
وكثرة كلايه ومعنى قولها اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن
هوالك اي انه مما كثرت عادته بانزال الضيفان وطعامهم وسقيهم
وضربة المعازف عليهم ونحرهم للابل لذلك صارت الابل اذا سمعت
المعازف عرفت بمجرى عادتها انها تنحر هذا معنى قول ابي عبيد وغيره
ويؤيد هذا التاويل قولها في الطريق الاخر اذا سمعن صوت
الضيف وقيل المراد انها اذا سمعت المزاهر ايقنت بالهلاك لما اعتاده
من نحرها اذا سمع الغنا وانتشا وهبت يده الا بحمده وهذا الاعتقاد
الابل وتفهمه لا مع التكرار والاستمرار • وقد يحتمل ان يكون هذا استعارة
لكثرة النحر وترادف الحقاق والبروان كانت لو تردد فهم الابل لهلاكها
ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاكها ويوافق من يحتفل به اضيف
ذلك اليها اذ هو واقع بها على ضرب من الاستعارة وهذا النحو كله
من فصيح الكلام وبديع البيان وهو نوع تسميه اهل النقد والبلاغة
الارداف والتتبيع وهو ابلغ في الوصف كما سنذكره بعد ومنه في معنى
ما نحن فيه ومثاله قول الشاعر • ومستنبح يلوي مساقط راسه
الى كل شخص وهو للسمع اصور • حبيب الى كلب الكريم مناخه • بغيض
الى الكوما والكلب ابصر • وذلك ان الكلب ينعم فيما يلغ فيه مما ينحر له
وياكل من سقاطها وعظامها فمتى راى ضيفا احب نزوله لذلك
والكوم تبغضه لانها تسبق بنزوله بالنحر والعقر فعبر عن النعمة
والسخا بالحب والبغض وعبر عن جوده الموصوف ونحره للاضياف

بما هو من توابعه وارادفه فان بعض الكوما له تبع لنحرها بسببه ومحبته
الكلكله ردف لتنعمه معه وكل ذلك تبع لاكرام ربها للضيفان وكنايه
عن جوده فكان هذا التشبيب ابلغ من قولهما اذا ضرب المزهر نحرن او اذا
نزل به ضيف نحرن وهذا مثل ما انشده الحزنبل لابي ابن مسلمة يمدح
النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر خيرا انا ابل محمد عزل تناوحت
بها شمال . واذا راين لذا النفا عزبيه . فاضت على الحدود سجال
فترى لهما ان من القتال على لثره . رحما وما يحيى لهن فصال . قوله
عزل اي غير ممتنعه كالاعزل الذي لا سلاح معه فيمتنع ويقول اذا
هبت الشمال وجاء الشتا والقحط تناوح بعضها الى بعض لعادتها بالنحر
واذا راين غريبا طارق تبكي لعلمها انها ينحر له وليس يحيى لها فصال لكثرة
امرارتها واذا كان زمن الخصب وطلب الناس التحول اذ لا يلحقونها ولا
يقدرون على ذلك زمن القحط والشدايد لشغلهم بانفسهم لذلك كانت لهذه
الابل لبان كثيرة يسيل على الارض حتى كان الارض خضبت ببياضها
وقال ابو سعيد النيسابوري لم يكن العرب تعرف العود الا من خالط الحضر
منهم . والذي يذهب اليه المزهر وهو الذي يزهر النار للاضياف
الطارق فاذا سمعت صوت ذلك علمت انها تقتل بالعقر قال
القاضي رضي الله عنه لا نعرف احدا رواه المزهر كما قال النيسابوري
وان كان يصح لان زهو السراج والنار تلالؤ لسانيهما والذي رواه الناس
كلهم المزهر وهو الصواب لا ما قاله ان شا الله تعالى . وقوله ان العرب كانت
لا تعرف العود الا من خالط الحضر منهم فمن اخبره ان مالكا المذكور
لم يخالط الحضر وقد ذكرنا في بعض طرق هذا الحديث ان قرية من قرى
اليمن وذكر انه اجتمع بها احدى عشرة امراة والقرى هو الحواضر . والمدن
قال الله تعالى رجل من القريتين عظيم . وفي الطريق الاخر انهن من قريش
واثنتين من اهل مكة مع ان اشعار العرب جاهليها واسلاميها باديها وتهاميها
حضريها قد ذكرت فيها المزاهر واشباهها قال الاعشى حاكيا عن الندامى
فما ينفك يعلي في مزهر مندوف . كذا انشده ابو عبيد وغيره وهو اجازه
من الرواية وغلط والشعر يعني مكرد محذوف لعين الزق ونغمه وصدوح

اذا يعجبها

اذا يعجبها الشرب ترقت في مزهر مندوف . وقال ايضا اذا قلت غني الشرب
قامت . بمزهر عالد يكاد اذا ادرت بها الكف ينطق وقال . ومستمعات
وصاحبه تقلبت بالكف اوتارها . وبربطنا معمل دائم وقد كان يغلب
اسكارها . وقال . وفيها هين الوهد والياسمون والمسمعات بقصابها
ومزهرنا معمل دائب فاي الثلاثة ازرى بها . ترى الصنج يبكي له محافه
ان سوف يعجلها وقال . ومستحب لصوت الصنج تسمعه اذا ترجع
فيه القينة الفضل . ولكثرة ذكره لهذا سمي الاعشى صناجة العرب
وقال الاقيشر وبربط بحاديه . صنج اذا ما اتزعنا . وقال امرؤ القيس
فان امس مكروبا فيا رب قينة منعمة اعملتها بكران . لها مزهر يعلو
الخميس بصوته . احش اذا ما حركته اليدان . والكران والمزهر هما عود
الغنى وكذلك البربط والصنج الة رومية وقال علقمة بن علاثه . قد
اشهد الشرب فيهم مزهر ترم وقال شريح بن مسهر الطاي . وفينا مسمعات عنه
شرب وقال ابن الكبير . ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا
واصطفاق المزاهر . وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابي سعيد
وغيره وقد يكون اشبه بالحال وهو ان يراد بالمزهر الدف المربع بوجهين
وهكذا تفسير المزهر لجماعة من قدما الفقها والعلماء وقاله الاصبغ
ابن الفرج وابن الحبيب في واضحته فان صح ان هذا الاسم عربي غير مولد
فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها وعادتهم لطراب الضيفان بها وقد روي
بيت الاعشى المتقدم بمزهر محذوف اي مقطوع قد قطعت اركاع جلده
هكذا فسروه وهذا يبني انه الدف الذي وصفناه وصحيح الرواية ما
قدمناه ورايت صاحب لحن العامة ويقولون لبعض الدفوف مزهر
وانما المزهر العود الذي يضرب به فدل قوله انه ليس
بعربي ومعنى قولها في الرواية الاخرى كثيرة المسالك قليلة
المبارك فان لم يكن وهما من الرواية فمعناه انها كثيرة في حال
سرحها ورعيها قليلة في مباركها لكثرة ما ينحر منها اوانها كثيرة
المسالك سبل الخير اي يوجهها ويسلك بها غير مسلك من المعروف
من رفد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين وديه وصلح ونحو ذلك

كما قال بعض بني العصر • فلم ار مثل الابل مالا لمقتر ولا مثل ايام الحقوق
لها سبلا • ومنه حديث علي رضي الله عنه وقد سال ابا الفرزدق غالب
بن صعصعة عن ابله فقال يا امير المؤمنين ذعذعتها النوائب • و
فرقتها الحقوق فقال علي رضي الله عنه ذلك افضل سبلها وكان غالب
قبل ذا ابل كثيرة ويكون حق لها في الرواية الاخرى كثيرة المسالك
قليلة المبارك كناية عن قلة بقائها في مكله وبروكها بفنائه لكثرة
المسارح فقليلة المبارح ان لم يكن خرج عن بيه والله اعلم ويكون معنى
قولها على الرواية الاخرى كثيرة المبارك قليلة المسارح ان لم يكن
وهما اي نعلم ذاتها كثيرة فهي كثير المسارح ذاتها لذلك وهي مع
ذلك قليلة المسارح اي لا تبرح ولا تبعد عن قرب منزله لما قدمناه و
الموفق الله • وقولها في رواية ابن الانباري • وهو امام القوم في المهالك
فيه تاويلات قيل اردت بالمهالك الحروب تصفه بالشجاعة • وانه
لبعضه شجاعة يتقدمهم ولا يتخلف كما قال الشاعر • وكتيبة
شنع الوجوه بواسل كالاسد حين تذب عن اشبالها • فقد قدمت
اول عنفوان رعيلها فلققتها بكتيبة امثالها وقال الاخر تعد
وامامهم في كل مرهاة طلاع انجد في كشيحة هضم • وقيل بل ارادت
انه هاد في السبل الخفية عالم بالطرق في البيداء التي وبئة
والمهالك المهامي والمفاوز سميت مهالك لاهلاكها سلاكها وفي
تسميتها مفازة ثلاثة وجوه قيل هو بمعنى المهلكة اي مهلكة
يقال فوز الرجل اذا هلك كما قال • اذا ما لقي كعب وفوز جرول
وقيل سميت مفازة على طريق التفاؤل ليفوز سالكها كما قالوا للديغ
سليم • وقيل بل سميت مفازة لان من قطعها وجاوزها فاز
من الهلاك فوصفت زوجها على هذا التاويل لمعرفته بالهداية
في المفاوز والقفار فهو يتقدم القوم لذلك كما قال علقمة • وقد اقود
امام القوم سلهبة يهدي بها نسب في الحي معلوم • وقال اخر • ولقد
هديت القوم في ديمومة فيها الادليل تعض بالخمس تفسير قول
الحادية عشرة غريبه قوله قالت الحادية عشرة على صحيح

الرواية

الرواية في هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجائز على منهاج كلام العرب
باثبات العلامتين في الحادية وفي عشرة ولك اسكان شين عشرة وكسرها على
اللغتين ولا يكون الحادية عشرة الى التاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والاخر
لان الحادية عشرة كالكلمة الواحدة كحضرموت وبعلبك كما فعلوا باحدى عشرة
سواء وكذلك لو لم يدخل على الحادية الالف واللام لم يكن الا مفتوحة عند
سيبويه واما يعقوب فحكي هنا جواز الرفع والخفض في تسعة عشرة
على تقدير حادية احدى عشرة ولم يجزه مع الالف واللام وكذلك لو كانت
لمذكر عند سيبويه لم يكن فيه الا الفتح وحكى الفارسي انه يجوز اسكان
في حادي عشر وثاني عشر ان كان موضعه نصبا في الاعراب كما قالوا قالي قلي
هذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة واما من يقول
خامسة وخمس فيقول قالت الحادية عشرة والحادية ههنا معربة
غير مبنية وقال بعضهم على هذا احادية عشرة اي احدى عشرة قال سيبويه
وهو القياس ولكنه حذف استخفافا لانه لفظ احد عشر فدل على ما
حذف منه ووقع لبعض شيوخنا في رواية هذا الحديث قالت الحادية
عشرة ولبعضهم الحادية عشر وهذا كله خطأ لا مخرج له الا على بعد
وتكلف وجه غريبه قولها اناس من حلي اذني اي حرك اذني
بالحلي من القرطة والشنوف والنوس حركة كل شيء متدل وسائل قال العجاج
اناس الغلاحتى ناسا اي تدليا واضطربا وهذا نحو الاول قال ابن الكلبي سمي
ذانواس احد ملوك اليمن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ومنه
حديث ابن عمر انه دخل على حفصة ونواساتها تنطف ومنه الحديث انه
كان للعباس ضفيرتان تنوسان على راسه والحلي جمع ويقال بكسر الحاء
وقرئ في الكتاب العزيز بهما جميعا والحلي واحد وهو كل ما يتحلى به من
ذهب وفضة وجوهر وشبهه وقولها بجحني فبجحت اي فرحني ففرحت
قال الراعي • وما الفقر من ارض العشيرة ساقنا اليك ولكنا بقرباك نبجح
اي نفرح هذا قول ابي عبيد وقال ابن الانباري معناه عظمني ويقال
وقوله فبجحت الي نفسي اي عظمت عندي وتاويل البيت المتقدم اي بقرابتنا
منك نفتخر ونتعظم وقال يعقوب بجحت فخرت وقال ابن ابي اويس معناه

وشع علي وترفني وفق لها وفرعني في رواية من زاده فيحتمل ان تريد
بالفرعين اليدين لانهما كالفرعين من الجسد تعني انها حلى اذنيها ومعصميها
ومعصميها وقد يحتمل انها ارادت بالفرعين العنق مع اليدين واقامت
اليدين مقام فرع واحد لكونهما جنسا واصل الفرع كلما ارتفع فالراس
واليدان من فروع الجسد فاذا حليا فقد حلي فرعاه • ويحتمل ان تريد
تفرعني عند بريتها وقرني راسها والعرب تسميها فروعا قال امرؤ القيس
وفرع يغشي المتن اسود فاحم واضافت التوس اليه كما اضافته الى الاذنين
لكونه فيهما ولقربه من قرون راسها ولانه مما ترخى مع القرقف من نواصي الحلي
لتنوس ايضا وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائر شعورهن وتحلية
نواصيهن وقرونهن فتكون هذه فعلت مثل ذلك من فعلهن ومن رواه
فرعي فيحتمل فرع الشعر او الراس قال ابن ابي اويس حلى راسي فذلك يتدلى
من كثرته ولعله عضديه ووقع في بعض الروايات اذنيه
وعضديه وفرعيه واليه بزيادة الهاء وهذه هاء السكت الملحقة في
الوقف وانقطاع الصوت وبعضهم يسميها هاء الاستراحة وهي تلحق
الاسما والافعال والحروف لتنبه على صحة الحركة التي في اخر الكلم
قبلها وتبيينها كقولك غلاميه وماليه • ولم يغزه ولم تنسه عند بعضهم
وانه بمعنى نعم وانيه ولعله واشباه هذا ولتمام الكلام المنقوص و
استقلاله بها كقوله عمه • وله • وقه • ولا تنسه • والوجه الثالث
للحاجة عندهم الى الصوت قبلها في اخر الكلمة وذلك • في الندا والندبة
وقد الحقوها في الاسماء غير المتمكنة اذا كان قبلها الف لضعف الالف
نحو هاهناه وهاؤلاه ولم يفعلوا ذلك في المتمكنة وبعد لكنا يلحق
فقالوا اضربتكه وضربتيه وغلامتيه وعلاماتيه فعرعي واذني من هذا الباب
وذلك لخفا الياء وان ما قبلها ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها
من غيرها فبينت بالهاء معناه وصفته بانه احسن اليها وحلاها
ورفه عيشها وسمنها واراها المسرة في احوالها ومعنى قوله ملا من شحم
عضدي قالوا ابو عبيد لم ترد العضد وحده وانما ارادت الجسد كله لان
العضد اذا سمنت سمن سائر الجسد ووجه اختصاصها العضد بذلك

والله اعلم

والله اعلم لانه اقرب ما يلي بصر الانسان من جسده واول ما يظهر له فيه
سمنه وفي حديث ابي هريرة فجعلت انظر في عطفي هل سمنت وغريب
قولها وجدني في اهل غنيمة هي تصغير غنم وقولها بشق والمحدثون
يقولون لشق قال ابو عبيد بالفتح هو موضع قال الهروي وهو الصواب
قال ابن الانباري هما بالفتح والكسر موضع قال ابن ابي اويس وابن حبيب
تعني بشق جبل لقلتهم قال ابن ابي اويس وقلة غنمهم قال الفقيه القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه كانت تريد انه لقلتهم وقلة غنمهم حملهم سكنى
شق الجبل اي ناحيته او بعضه لان الشق يقع على الناحية من الشي ويقع
على بعضه والشق ايضا النصف فيكون على هذا وعلى ما جاءت به الرواية
صحيحا وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح وهو الشق نفق لها
لقلتهم اي شق في الجبل كالغار ونحوه وله وجه اخر ذهب اليه نفطويه
وراته القتبي هو بالجيم قولي واصح لغة ومعنى ان الشق بالكسر الشظف
من العيش والجهد منه قال ابن دريد يقال هم بشق وشظف من العيش
فالجهد منه قال ابن دريد يقال وعليه تاول قول الله تعالى الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس وقولها في اهل صهيل واطيط ودايس ومنق
فالصهيل اصوات الخيل وعلى رواية جامل وصاهل اي جمال وخيل و
اصحاب جمال وخيل غريبة قولها وجامل فالجامل جمع جمل وهو
اسم للجميع غير مكسر عليه الواحد قال النابغة اجماد لنا يوما في شوي
وجامل تريد في شو وجمال ومثاله من فاعل الذي يراد به الجمع فقالوا باقر
وطاير وسامر وداير ولذلك قالوا كابرا عن كابر وقال على روس كروس
الطاير وقال الله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقد يكون جامل
وصاهل اسما فاعلين للرجال المالكين للجمال والخيل الصاهلة والطعام
المداير كما قال • فانك لابن بالصيف تامر • وقال كليب لهم باسمه ناصب
اي ذي نصب وذو تمر ولبن فيكون تقديره فنقلني من اهل جمال وخيل
او ذوي جمال وخيل وقولها واطيط قال ابو عبيد الاطيط اصوات الابل
قال يعقوب الاطيط الابل وهو غيرها من البطنة ومن مثاهو كالاجفل
ذلكما اطت الابل • قال الفقيه القاضي رضي الله عنه واصل الاطيط صوت

اعتودوا المحامل والرحال ويشبه ان يريد بالاطيط هذا انه يريد انهم
اصحاب محامل ورفاهة لان المحامل لا يركبها الا اصحاب السعة
والرفاهة وكانت قديما من مراكب العرب ثم ان الحجاج حسنها
وزاد فيها فلهذا نسب اليه عملها وبهذا السبب غلط العسى ابا عبيد
وهو الغالط لما ذكرناه وفي الحديث في ذكر ما على باب الجنة ليأتين
عليه زمان وله اطيط يعني صوتا بالزحام وفي حديث غيره وله
اطيط كاطيط الرحل قال الهروي الاطيط نقيض صوت المحامل
وفي الجمهرة الاطيط صوت الرحل الجديد او النسع اذا سمعت له
صريرا وكل صوت يشبه بذلك فهو اطيط وقال ثعلب الاطيط نقيض
جلود الابل عند الكظة والدايس قال ابو عبيد تاول بعضهم من دايس
الطعام وهو دراسته واهل العراق يقولون الدياس واهل الشام
الدراس قال ولا اظنها واحدة من هاتين الكلمتين فان كان كما قيل
فاراد انهم اصحاب زرع قال الهروي درس الطعام وداسه واحد
وحكي عن بعضهم الدايس الاندر قال يعقوب الدايس الذي يدوس
الطعام وقال بعضهم الدياس الطعام الذي ابدله في دياسه وعندهم
من الطعام غير مخبز هو متصل وقولهم منق فالمحدثون يقولونه
بالكسر قال ابو عبيد ولا ادري ما معناه قال فاحسبه منق بالفتح
فاراد به من ينقي الطعام وحكى الهروي عن بعضهم المنق
الغربال وقال اسمعيل بن ابي اويس بالكسر نعيق اصوات المواشي و
الانعام يصف كثرة ماله وقال ابو سعيد النيسابوري هو ماخوذ
من نقنقة الدجاج يقال انق الرجل اذا كان له دجاج تنقنق اي انهم
اهل طير ايضا وقال ابو عمرو وابن سراج ويجوز ان يكون منق بالاسكان
ان كان رويا اي والنعام ذات نقي اي سمان معناه وصفه انه نقلها
من شظف عيش اهلها وبلغهم بغنمتهم الى اهل الثروة والاموال
الواسعة من الخيل والابل والرجال والزرع والبقر والدواب الدايسة
والعبيد والجود والالات المتقنة للاطعمة المصلحة لها والماشية الكثيرة
والطير المنتقم بأكلها وذلك ان اصحاب الغزاهل شظف او كفاف وعدم

ترزقه

ترزقة ومن دعا العرب اذ كنت كاذبا فحلبت قاعدا الى صار مالك غنما
فحلبها القاعد ونحنة من اهل الخيل والابل وقد قال صلى الله
عليه وسلم الفخر والخيلاء في اهل الخيل والابل الفدادين اهل الوبر
والسكينة في اهل الغنم فاخبرت هي بانتقالها من تلك الحالة
الى هذه ورغد عيشها بالبان هذه المواشي ولحومها وغير ذلك
من الاطعمة لسيما ما اشارت بها بما بدايس وبنبغي الى الخبز وكان ارفع
اغذية العرب واعز اطعمتها اذ لا تجد منهم الا الكثير الثروة ومن
قارب الارياف والحواضر والا فاكثر اطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان
والتمر وعليه يدل اشعارهم ومن غرائب اكل الخبز وعزته عندهم
ما سمي عبد الله بن حبيب العنبري اكل الخبز لاقتصاره عليه ورغبته
عن غيره ولهذا قال كسرى بروز لهوذه بن علي وفد عليه كلامه ما
غذاوك ببلادك قال الخبز فقال كسرى هذا عقل الخبز لا عقل اللبن

والتمر ومن غرائبه حديث ابي هريرة في قوله وكنت اسمع ان من اكل
الخبز سمن الحبيب فجعلنا ناكل وننظر هل سمنا اذا وجدوا خبره بخبر
الحديث غريب قولها فعنده اقول ولا اقبح اي يقبح قولي
علي ويرد وقولها انقمح اي اروى حتى لا احب الشرب ماخوذ
من الناقة المقامح وهي التي ترد الحوض فلا تشرب وترفع راسها ريا ومن رواه
فاتقنح فان ابا عبيد قال لا اعرفه ولا اراه المحفوظ الا بالميم قال
الفقيه القاضي رضي الله عنه وحكى ابو علي القالي في كتابه البارع و
الامالي يقال قنحت الابل تقنح بفتح النون في الماضي والمستقبل
قنحا باسكان النون وقال بعضهم قنحا اذا تكارهت الشرب بعد الري واكثر
كلامهم فقنحت تقنح قاله ابو زيد وقال يعقوب ابن السكيت وابو حنيفه
فيهما اذا بمعنى والميم تتوارد مع النون كثيرا مثل غين وغيم وامتقع
وانتقع وقال شمر عن ابي زيد التقنح الشرب فوق الري قال ابن حبيب
هو الري بعد الري قاله ابن ابي اويس وقال ابو سعيد هو الشرب على
مهل لكثرة اللبن لانها ليست تتناهب غيرها الشرب انما تتناهبه عند
القلة مخافة عجزه وقال يعقوب اتقنح لا اتقطع على شربي ومن رواه اتقنح

بالفاد والنادفاذا لم يكن وهما عندي التكبر والزهو قال ابن دريد الفنجخ
التيه والتكبر يقال فلان فنجخ ومثله في العتق للخيل ويكون هذا
التيه والكبر من الشراب لنشوة سكره كما قال حسان وتشربها فتتركنا
ملوكا واسدا ما ينهنهنا اللقاء وقال المنخل واذا اشربت فانني رب
الخورنق والسدير وارجعها على الجملة لعزتها عنده وكثرة الخير لديها
فهي تزهو لذلك او يكون انها تفنجخ كناية عن سمن جسمها والتباعد يقال
بات فنجخ اذا كان واسعا وقولها انصبح اي انام الصبحة وهي نوم
اول النهار وقولها واكل فاتمنح اي اطعم غيري يقال منحه يمنحه و
يمنحه اذا اعطاه واصله من المنحة والمنيحة وهو ان يجعل الرجل للرجل
لبن شاته او ناقته ثم يردها ثم جعلت كل عطية منحة وجاءت
بلفظة انفعل التي تقتضي تكرار الفعل وملازمته للفاعل ومطالبته
نفسه او غيره به فكانها تطلب نفسها من يمنحها او تحرك لذلك
غيرها لتتفضل عليه بما فضل عنها لكثرته
وصفت هذه بزوجها ابيها وتذللها عليه وترفيهه لها وكثرة احسانه
اليها فوصفت انه لا يرد لها ولا يقبح عليها من ياتي به من كلام
لاكرامه اياها وميله اليها وعزتها عنده وهذا مما يدل على العزة
كما قال السموال ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون
القول حين نقول وانها تنام الصبحة ولا تنبه من نومها حتى
تنتبه ترفيها لها ودلا منها هذا لفضل عزها تفوق مؤنة بيتها
ومهنة اهلها وان لها من الخدم من كفاها ذلك فلذلك تصبحت
في نومها كما قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وقال الحطيئة ولا يقوم باعداء الفجر تنتطق اي تشد نطاقا للخدمة
وانها تشرب حتى لا تجد لها مساغا فتكره الشرب بعد تمام ريها او انها
لا تقلل مشروبها ولا تناهي ولا يقطع عليها حتى تتم شهوتها فيه
لكثرته وكرامتها كما قال النابغة وتسقى اذا ما شئت غير مصرد
وانها تغتني بذلك شوم وسه وانها تاكل وتفضل لها فضلات تمنحها
سواها وجاءت فاء التعقيب لمقتضيه ان اعطاها ومنحتها كانت بعد اكلها

وتمام

وتمام حاجتها او انها قد سمنت عنده بعد وحسن جسمها تنبيه
قال ابو عبيد ولا اراها قالت ذلك الا لعزة الماء عندهم يعني قولها اشرب
فاتقمح قال القاضي رحمه الله يعني ابو عبيد رحمه الله انها لا تقمح بالري من الماء
الا وهو عزيز والعجب منه ما اضطره الى هذا التاويل وكانه لا شراب
الا الماء فاين انواع اللبن والخمر والنبيذ والسويق وسائر اشربة العرب
التي يستعملونها ويستعملونها من صريف وضرب وصريح ورحيق ونبيذ
ومزر وجعة وبتع وفضيخ وطلاء وباذق وسويق بل كانوا ابدا يموت
بشرب الماء ويعيبون به كما قال بعض الهذليين ومن يقلل حلوبته
وينكل عن الاعداء يغبقه القراح اي من قل ماله وجبن عن الغارات ولم
يصب المغانم رجع شرابه الماء القراح لاعوازه اللبن وقال الاخر اسقم
جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد اي اوثر اضيافي
وجيراني بمطعومي ومشروبي واقنع بشظف العيش وشرب الماء القراح
البارد بل الذي اراده اللبن ونبهه والله اعلم وكان عمدة اغذية
العرب على اللبن وهو القائم مقام طعامها وشرابها وفي الحديث ليس
شيء يقوم مقام الطعام والشراب الا اللبن وفي حديث ابي بدر
ما رايت كاليوم ما لكم رغبة في اللبن التي في الغدا فيكون ذلك بابيكم
ابل ذات لبن او ما ليتوصل به الى اللبن فعنده كان غالب عند
عيشهم وطيب مطعمهم فهذا معنى قولها والله اعلم اذ لم يذكر
في اكثر الاحاديث سوى المشروب وقد يكون قولها اشرب كناية عن
الشرب والاكل لصحبة احدهما الاخر وقد استعملت العرب احدهما
مكان صاحبه قال الشاعر شراب البان وتمر واقط ولا نحتاج الى هذا
ان ثبتت الزيادة المذكورة في الاكل من قولها واكل فاتمنح وغريب
قولها في ام زرع عكومها رداح قال ابو عبيد وغير واحد من الائمة
العكوم الاحمال والاعدال والعيان التي تجمع الاطعمة والمتاع والرداح
العظام الكبيرة الحشو قال الهروي الثقيله ومنه قيل للكبسة
الواسعة رداح اذا كانت ثقيلة السير لكثرة من فيها ويقال للمراة
رداح اذا كانت عظيمة الاكفال ثقيلة الاوراك وجفنة رداح عظيمة

وجمل رداح عظيم وقال ابن حبيب فيما قراته مضبوطا في كتابه
ولم اره سماعا انما هو دراح اى ميلا كذا سمعت ابن ابى اويس
يقوله وليس كما قال شارح العراقيين الدراح غير هذا في لب
الفقيه القاضي رضي الله عنه وما قاله ابو عبيد وغيره صحيح
معروف ومعناه ظاهر ولا ادري لم انكره ابن حبيب وهو بنفسه
معنى ما فسره هو به مع مساعدة سائر الرواة كما قاله ابو عبيد
فان روايتهم كلهم رداح لا كما قاله ابن حبيب عن ابن ابى اويس
دراح لم نرها عنه ولا نسخناها سواه وسمعناها من شيخ ولا
ذكرت هذه اللفظة في جماهير اللغة وصحاح العربية الا ان تكون من
قولهم رجل درحاية اي ضخم حكى ذلك ابن دريد قال وهو من الدرح
وهو فعل ممات • وانشد عكوك اذا مشى درحايه وفي كتاب العين
الدرحاية القصير • وقال يعقوب الدرحاية القصير الكثير اللحم الا ان
فتوهم عليه وانما اراد رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط فلقوله
وجه ويكون رداح هاهنا بمعنى ما قال ابو عبيد لكنه جمع رداح كقائم
وقيام ومنه الحديث ان من ورائكم فتنا رداحا وهكذا وجدته
مضبوطا عند بعض رواة هذا الحديث بكسر الراء عربيته
قولها عكومها رداح اعلم ان وجه اعراب رداح ان يكون خبر المبتدا
مضمر ولا يصح ان يكون خبر العكوم لان العكوم جمع واحدها عكم والرداح
واحد جمعه ردح ومنه حديث علي رضي الله عنه في وصفه الفتن متماحلة
ردح اي طويلة عظيمة قال الشاعر الى ردح من الشيزى عليها
لباب البر يلبك بالشهاد • فلا يصح ان يكون رداح خبرا للعكوم
لانه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز • والا احرفا
مسموعة مثل قولهم درع دلاص وادرع دلاص وقد قيل دلص
وامراة هجان ونسوة هجان وقد قيل هجاين • وشمال للواحد
والجمع وفلك للواحد والجمع في احرف قليلة وقيل منه قولهم
رجل سلم وخصم وعدو وقوم سلم وخصم وعدو في احرف سمعت
وقد اختلف اهل العربية في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت

فقال

فقال بعضهم هو واحد وذهب المبرد الى انه جمع وقيل الجن واولياؤهم
الطواغيت قال سيبويه هو اسم واحد مؤنث يقع للجميع كهيئته
للواحد وقال الفارسي هو مصدر كالرغبوت والرهبوت كما قال
فهم رضا وهم عدل • واما راس هذا العلم ومقتدي المقو الخليل
بن احمد فله في هذه الكلمات مذهب فعنده ان هجانا واحد مع
الواحد جمع مع الجمع وانه عنده في الجمع بمنزلة ظراف قال الفارسي
كانهم كسروا فعالا على فعال كما كسروا فعلا على فعل في قولهم فلك للواحد
والجمع قال فالحركة التي في هجان للجمع ليست التي في المفرد فان الحقنا
هذا بما ذكرناه وادخلناه في بابه على اختلاف مذاهبهم توجه
لكونه مسموعا في هذا الحديث او نجعل رداحا مصدرا كالذهاب و
الثبات والطلاق والكمال فيكون خبرا للعكوم كما قالوا قوم عدل
ورضا على قول بعضهم انها مصادر او يكون على طريق النسبة والاضافة
اي عكومها ذات رداح كما قال الخليل رحمه الله في قوله تعالى السماء
منفطر به اي ذات انفطار ويكون اراد بعكومها الكفل فقالت
رداح وردية على الكفل الذي كنت عنه بالعكوم لعظمه فكان رداح
خبرا له حملا على المعنى اذ كان واحدا كما قال • ثلاث شخوص كاعبان
ومعصر فانث حملا على المعنى اذ كن نساء والاوجه ان يكون رداح
خبر مبتدا مضمر دل عليه ما قبله وتقديره ذلك عكومها كلها رداح او
عكومها كل عكم كما قال علقمة • حدورها من اتي الماء مطموم على
رواية من رواها بالجيم اى جدورها كل حائط منها او كلها مطموم
اي مملوء والجدور جمع جدر وهي حواجز المشارات • اي تحبس الماء في
اصول النخل • وانشد بعض النحاة عليه قول الاسود بن يعفر يصف
جفنة • نزاحوانبها بالشحم مفتوقا • اي ترى كل جانب منها مفتوقا
ولم تفتح هذه المجازات كلامها لاجل الازدواج والتسجيع على حد
كلام العرب ومذهبهم في الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع
وقولها فياح الفياح والفساح بمعنى واحد اي بيتها واسع كما تقول
بيت فسيح وفساح ودار فيحاء اي متسعة وبيت فيح • ومنه الحديث

في شدة الحرارة من فيح جهنم اي من سعة حرها وانتشاره ومن هذا
فناح وفعلى باب المبالغة **معناه** وصفتها بسعة المال وكثرة
الخير والالات. وسعة فناء البيت وكثرته وهذا لا يكون مع الوحد
وقد يحتمل ان يكون كنى بالعكوم ورداحها عن كفلها وعظمه كما قالوا
جارية رداح اي عظيمة الكفل وجعل للكفل عكوما وهو جمع لعظمه
كان كل ناحية منه عكم وكنى بسعة البيت وفسحة الفناء عن كثرة
خيره ورغد عيشه واكبرنيات له كما كنوا بالرحب عن ذلك في قولهم
مرحبا وقالوا فلان رحب المنزل ولا يريدون سعته فقط بل كثرة خيره
ووفور بره فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيان ووقع في بعض
روايات شيوخنا في هذا الفصل ام ابي زرع وما ام ابي زرع فان صحت
الرواية فانها انما وصفت نفسها وكذا حدثنا بها بعض ثقات
شيوخنا عن ابي العباس العذري **وغريب قولها** في ابن ابي
زرع كمسل الشطبة قال ابو عبيد والحربي فاصل الشطبة ما
شطب من جريد النخل وهو سعفه وهو ان يشق منه قضبان رقاق
ينسج منه الحصر قال يعقوب الشطبة الشقة من سدى الحصير و
قال ابن الاعرابي وابو سعيد النيسابوري اراد بمسل الشطبة سيفا
سل من غمده وقال ابن حبيب العويد المحدد كالمسلة والجفرة الانثى
من اولاد المعز والذكر جفر وهو ابن اربعة اشهر كذا قاله
ابو عبيد وغيره وجمعه جفار وقال ابن الانباري هو ولد الضأن
وكذا قال ابن دريد قال وهي الانثى منها وفي كتاب العين الجفر من اولاد
الغنم فاذا اتى عليه اربعة اشهر وفصل عن امه واخذ في
الرعي قيل له جفر والفيقة ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين والفواق
ما بين الحلبتين واليعرة العناق والذكر اليعر وقولها وتميس
بتختر والنثرة الدرع ولعلها لطف منها كذا قال الهروي وقال نحوه
ابن الانباري قال هي القصر وعند الخليل هي السلسلة الملبس وقال
الثعالبي وثابت انها الواسعة ومثله النثلة والدلغة والفضفاضة
معناه وصفته بانه مهفهف الخلق ضرب اللحم ليس ببطين

ولا

ولا جبا جعظري جواظ وكنت عن ذلك بان مضجعه الذي ينام فيه في الضيق
كمسل شطبة واحدة اذا سلت من الحصير فبقي كانها فارغا بين اخواتها وهو
من تمادح به رجال العرب وانه مثل غمد السيف. وهو قريب من
الاول. قال ابو سعيد شبهته بسيف مسلول ذي شطب يماني وسيوف
اليمن كلها ذات شطب. قال ابن حبيب عنت انه خفيف اللحم مهفهف
وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف فوجه تشبيههم بذلك اما الخشونة
جانبها ومضاربها او جمال رونقها ولالائها او كمال صورتها في اعتدالها
واستوائها كما قال الشاعر. يشبهون سيوفا في صرائمهم. وطول انضية
الاعناق والامم. وقال الاخر. كان جبينه سيف صقيل. وقال الاخر.
في فتية كسيوف الهند. قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل.
وقال الاعشى. ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائد.
وقالت الاعرابية احمد مار عام كالمهند الصمصام. وكذلك ايضا قد
شبهوهم بالرماح كما قال. هما رمحان خطيان كانا من السمر المثقفة الصعاد.
وقال الاخر. مصاليت امثال الردينيات السمر. ثم وصفته بقلة الاكل
والشرب وهما مما يتمادح به ايضا كما تقدم. ثم وصفته بانه صاحب
حرب وشكة وجلاد في موضع القتال **وغريب** قولها في ابنته
صفر ردائها فالصفر الخالي الفارغ وقولها غيظ جارتها اي ضرتها ويحتمل
ان تكون الجارة بالسكنى فالضرة انما سميت جارة لمجاورتها ضرتها
وتسمى الزوجة جارة ايضا لمجاورتها الزوج. قال الشاعر. ايا
جارتا بيني فانك طالقه. وعقر جارتها في رواية من رواه. فكذا اخرجه
مسلم في صحيحه عن الحسن بن علي الحلواني اي دهش جارتها قال
صاحب كتاب الجمهرة عقر فلان عقرا اذا خرق من فزع قال صاحب كتاب
العين عقر الرجل اذا دهش. وقد قال اهل المعاني. وتنفست كتنفس
الظبي العقير انه الدهش وقد يكون ايضا من العقر الذي هو القتل
من قولهم عقر الرجل ابله اي نحرها ومنه كلب عقور وفرس عقير
صيد عقير واصله من عقر النخل وهو قطع راسها فيهلك ويكون
هذا المعنى الرواية الاخرى حين جارتها وهي رواية شيخنا القاضي التميمي

في بعض طرق النسائي وكذلك قيده بخطه علي ابي علي الحافظ قالحين
الهلاك او يكون من العقر الذي هو الجرح كما قال الخليل العقر الجرح
ومنه قولهم سرج معقر اذا كان يعقر ظهر الدابة اي يجرحه ومن معنى
ما تقدم في قولهم كلب عقور اي يجرح وصيد عقير اي مجروح ومن رواه
عبر جارتها حكى ذلك الهروي والانباري • وهي رواية الهيثم بن عدي
فمن العبرة التي هي البكاء او العبرة التي هي الاعتبار اي ان ضرتها
تبكي حسدا لما تراه منها من خلق او خلق او تعتبر من ذلك قال
ابن الانباري معناه ان ضرتها ترى منها ما يعبر عينها اي يبكيها
قال وفيه معنى اخر انها ترى من عفتها ما تعتبر به ومن رواه عبر
جارتها وكذا رويناه في بعض الاحاديث المشهورة عن ابي بكر محمد
بن الله الفقيه من رواية ابي سلمة المنقري فهو من الغيرة قال
الخليل غار الرجل غارة وغيرا فهو غيران فكان الهاء حذفت وابدلت
من الالف باء وقد حكي غير الغيرة والغير والغار بمعنى والغير ايضا مصدر
غار اهله اي مارهم قاله ابن دريد ومن رواه حير فمن الحيرة كذا وقع
في كتاب السماع عند بعضهم واراه هكذا عند ابن الاحمر الغرشي
قال صاحب العين حار بصره يحار حيرا وحيرة اذا نظر الى الشيء فعشي
وتحير واستحار اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران وهذه الالفاظ كلها
بمعنى متقارب من الرواية المشهورة اعني غيظ جارتها ومن رواه حير بالبا
وكذا وجدته في بعض الاصول ولم اروه فان صح فهو من معنى قولها
قبل طلوع ابنها وامها وحير جارتها اي مسرة مجاورتها او لا يكون
الجارة هنا الضرة لكون المجاورة في المحل والمنزل فهي مسرورة بما تراه
من جمالها وعفتها او بما تفعله من احسانها وتعمتها والحبرة السرور
ومنه قوله تعالى في روضة يحبرون والحبر والحبار الاثر ومنه
سمي السرور لان اثره يظهر في وجه اخيه معناه وصفتها
بانها ممتلية الجسم كثيرة اللحم • وعبرت عن ذلك بامتلا كسايها
لانها لا تملي الا لعظم جسمها وكما تشخصها وكثرة لحمها ونعمة
جسمها وهذا مما يمدح به النساء ويتممن به قال امرؤ القيس

وبين

31

وبيت عذارى يوم دجن ولجنه يطفن بجما المراني مسكسال سباط
البنان والعرانين والقنى لطاف الحصور في تمام واكمال • وقال عمر •
وتخاله باللحم من دون ثوبها تطول القصار والطوال يطولها وقال
الحماني في صفة • لا تنجب لمن منها حين تجلها من دون اثوابها •
عرض ولا طول كانها مستجيب شكت نشرا وطاير بنات الماء مهزول
وقال الاخر في كل عضو لها قرن يصك به جنب الضجيع فيضحي واهي
الجسد • وفي المثل لو قيل للشحم اين تذهب لقال اصلح العوج و
عابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن فعابوا الغضاضة والمفاضة • و
العفضاج والعصنكة والحانب ومدحوا المتبلد والخدلجة والبرهرهة
والعبهرة والدرما واللفا وعابوا الدميمة • والقصيرة ومدحوا
الطويلة والعطبول والفارعة والخرعبة والممشوقة والمهفهفة
قال الشاعر طويلة خوط المتن عند قيامها وفي تطويلان المتون
ولوع قال الاخر • وانت التي حببت كل قصيرة الي وما تدري بذاك
القصاير ردت قصيرات الحجال والمراد وقصار الخطا شر النسا
البحاتر • وقال عرقة بن الزبير • ما عشقت من امراة قط الا شرفها
قبل طولها وقيل حسبها ثم وصفتها بعظم الردف ودقة الصدور
وحسن بنية الكتفين وضمور البطن واندماج الحضر بقولها صفر
ردائها اي ان رداها كالفارغ الخالي منها اذ لا يمس من جسمها شيا من
دفرها وكتفاها يمنع مسه من خلفها شيا من جسمها ونهداها تمنعه
ان يمس شيا من مقدمها وقد قال الاخر • ابت الروادف والثدي
لقمصها من البطون وان تمس ظهورا • واذا الرياح مع العشي تناوحت
نبهن حاسدة وهيجن غيورا • وذهب الهروي الى ان معنى قولها صفر
ردائها اي انها ضامر البطن والمراد ينتهي الى البطن وقال ابو الحسن بن ابي
معشر النحوي صفر ردائها يصفها بانها خفيفة موضع الردف وهي علابدنها
وملا كسائها يعني انها ممتلية موضع الازر وهو اسفل بدنها ونحوه
لابن ابي اويس وهذا كما قال الاخر • سناهم ثوبها فغى الدرع راده وفي
المرط لغاوان ردفها عبل وكما قال ابن الطثرية عقيلية اما ملاث ازارها

وتبعض واما خمرها فتبيل ويؤيد هذا المعنى ما وقع في بعض
الروايات ملء ازارها في موضع كسائها فجاء مطابقا للبيتين فان الازار
هو ما تتزر به والمرط كساء من صوف مربع كان النساء يأتزرن به وقد
يكون من غير الصوف وقال ابن دريد المرط ملحفة يؤتزر بها فاستبان
من هذا ان الازار والكساء هما معنى المرط في البيت ثم اكدت الثناء عليها بانها خير
نسائها اي نساء قومها اي فخرها وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها في الكمال
وخلقها غيظ جارتها اي ضرتها او مجاورتها وان ما تراه من ذلك يغيظها او تغار له
وتغار منه وتغتر حتى لا تهتدي لامرها ولا تستقيم لسبيلها وتكاد
بصرها تعشو اذا نظرت الى جمالها وكمالها اذ ليست كذلك وتعقرها و
يبكيها حسدا لها وعبرة بها فتكون معنى تعقرها اما يهلكها حسدا
وبسبب حبها او يجرح لذلك قلبها ويبكيها على ما تقدم من تفسير عقر
ويكون معنى هذه الالفاظ كلها متشابها ان شاء الله تعالى **فقهه**
في هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن
مجهولات لان فيه بنت ابي زرع وان كان منسوبة فهي في حكم المجهولة لبعد وقتها
وخفاء رسمها وجهله عينها واسمها والذي يمنع من ذكر وصف النساء المعينات
بحضرة الرجال وان يذكر من اوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال
استقصاء النظر اليها ونصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء
عليه وقال عليه السلام لا تنعت احداكن جارتها الى زوجها حتى كانه
يراها وزجر صلى الله عليه وسلم هيتا المخنث ويقال ماتع المخنث والقصد
لهيت اشهر ومنعه ان يدخل على نسائه اذ سمع منه من وصفه لبادية
بنت غيلان الثقفية ما سمع فقال له لقد غلغلت النظر يا عدو الله
وفي رواية الا ارى هذا يعلم ما هاهنا ثم نفاه عن المدينة لذلك الى
الحمى وكراهة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنه لوجوه
احدها ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من اجسامهن وعوراتهن
بين النساء والرجال مما لا يجوز الاطلاع عليه والوجه الثاني انكر عليه
غلغلة النظر الى ان وصل معه الى معرفة ذلك مما لا يباح للنساء تكشفه للرجال
والثالث انهم كانوا يعدونه من غير اولي الاربة من الرجال الذين يجوز لهم

للاطلاع

الاطلاع على ظواهر محاسن النساء فلما رآه يتفطن من اوصاف النساء الى ما
لا يتفطن له الرجال دل على انه له اربة في النساء وميلا الى ما يرغبه الرجال
ويميلون اليه. وقولها طوع ابيها وطوع امها اي انها بارة غير خارجة
عن ارادتهما وهذا يدل على عفتها وعقلها ومن رواه زين فمعناه ان من
له مثل هذه البنت فكمال لها وجمال لهما تتزين بها او تتجمل قال الله تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا **وغريب** قولها برود
الظل اي انها حسنة العشرة كريمة الجوار يقال فلان ياوي الى ظل
فلان اذا كان تحت اكرامه وعزه وحمايته كانه استراح اليه استراحة
المستتر بالظل والظل يعبر به عن العز حكاه ابن دريد وهذا يؤيد
رواية من رواه خير جارتها قولها وفي الال اي العهد قاله ابن الانباري
والهروي والال ايضا القرابة قال الله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا
ولا ذمة اي قرابة ولا عهدا عند بعضهم وقولها كريم الخل اي الخليل
والصاحب وقد يصح ان يشرف به الزوج فهو خليلها وقد يريد بالخل هنا
المخاللة والصحبة قال الحربي يقال فلان كريم الخلة والخل والمخاللة
اي الصحبة **عربيته** ذكرت برودا وكريما ووفيا والموصوف
به مؤنث لانها ذهبت به مذهب التشبيه اي هي كرجل بهذه
الصفة قاله ابن الانباري وانشد عليه لعروة بن حزام وعفراء عني
المعرض المتواني وفيه وجه اخر على تقدير الحمل له على مذكر محذوف
كانها قالت هي شخص او شيء برود الظل وكذا وكذا وقد حمل عليه معنى
بنت عروة المذكور **معناه** وصفتها بحسن الصحبة والرعاية
لمن صحبها وجاورها وكرم العشرة معهم وعزهم في جوارها
وانها ذات خلق كريم وروح شريف ان فسرنا الخل بالخليل وانها
كريمة المخاللة والمعاشرة ان كانت بالخل عن ذلك وانها وفية لعهود
الزوج والجار وصلة لمن بينها وبينه ذمة او سبب **غريب قولها**
في جارية ابي زرع لا تبث حديثنا اي لا تفشي وتظهر يقال
بثثت فلانا سري اي اظهرته واطلعته عليه واصله النشر قال الله
تعالى كالفراش المبثوث ومن قال تنث بالنون فمعناه تظهر نقاه

نث الحديث قال ابن الاعرابي لنشر المغتاب قال ابن حبيب النث
والبث بمعنى وبعضه ما ورد مفسرا في الحديث الآخر فقولها ولا تخرج
حديثنا تنثيثا مصدره ومن رواه تنقيثا فمعناه استقصا
على حديثهم ونمائمهم وقولها ولا تنقث ميرتنا تنقيثا قال ابو
عبيد التنقيث الاسراع في السير اي لا تذهب به وتخون فيه وهذا
مثل قوله في الرواية الثانية تنقل واصله من قولهم تنقثت
العظم اذا استخرجت ما فيه وقال النيسابوري التنقيث اخراج ما في
منزل اهلها الى غيرهم وهما متقاربان وقال ابن حبيب معناه
لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ولكنه من الاسراع في السير و
التنقيث من الفساد والتفرقة وقال ابن السكيت تنقيثا اي نقلا
وقال ابن ابي اويس لا تسرق وعلى رواية من قال تعث فمعناه تفسد
وكذلك روي تفسيره مفسرا في الحديث الآخر ومنه حديث ابي بكر انه مما
صح عندي هذا الفتح وعثه على بلاد الحي على التفصيل قال ثابت
اي افسده واصله من العثة وهي السوسة يقال عثت الصوف اذا اكلته
قال الفقيه القاضي رضي الله عنه فعلى هذا ايضا يصح معنى تعث اي تاكل
اكل فساد كما يفعل السوسة وقولها في رواية الزبير تفسد ميرتنا
تفشيشا فمعناه عندي قريب من الاول اي لا تفسد ميرتنا بالتنقل والخيانة
والاحتجان والاسراف في اكلها قال الخليل [illegible] ه وانفشوا
اذا اختلطوا قال والفش والافتشاش طلب الاكل قال ابن دريد و
التفشيش مثله قال وفش ما على الخوان اذا اكله اجمع قال وفششت
الشي فشا اذا جمعته وحكى الثعالبي عن الليث النش والتنشنش طلب الاكل
من هنا وهنا والميرة ما يمتاره البدوي من الحضر من حبوب ودقيق
وغيره فمعاني هذه الالفاظ وان اختلفت متقاربة وقولها ولا تملا
بيتنا تعشيشا فمن رواه بالعين المهملة فمعناه انها مصلحة للبيت
مهتبلة بتنظيفه والقاء كناسته وابعاد هامه وليست ممن تقمم
كناسته وسقطه هنا وهنا وتتركها مجتمعة في اماكن منه كانها
الاعشاش هكذا فسر هذا المعنى بعضهم وقال ابن [illegible] عن ابيه

ارادت

33

ارادت انها تقم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب وكانه عش طائر
في قذره وتشتته وقال الهروي لا تفسد ميرتنا تغشيشا معناه انها
لا تخوننا في طعامنا فتخبأ في هذه الزاوية شيئا وفي هذه شيئا كالطيور اذا
عششت عششه في مواضع شتى وقال الخطابي هو ماخوذ من قولهم
عشش الخبز اذا فسد تريد انها تحسن مراعاة الطعام وتتعاهده بان
تطعم منه اولا فاولا طريا ولا تغفله فيعشش ومن قال تغشيشا بالغين
المعجمة فهو من الغش قال الهروي هو بمعنى الاول وقال ابن السكيت هو من
النميمة وقولها ولا تنجث اخبارنا تنجيثا اي لا تستخرجه استخراجا
والنجيثة ما يخرج من البئر من تراب **معناه** وصفتها بالامانة
على السر والمال والقيام بمصالح خدمتهم والنصح لهم وانها لا تفشي
لهم حديثا ولا تبذر لهم طعاما ولا تخون فيه ولا تنقله الى غيرهم
ولا تفسدهم وتضيعه ولا تدخل بينهم الضغائن ولا تهمل امر خدمتهم
وصلاح منزلهم **وغريب قولها** في ضيف ابي زرع في رتع وري
اي تنعم قال الله تعالى نرتع ونلعب واكثر تفاسيره ترجع الى التنعم
والمسرة وقولها طهاة ابي زرع اي طباخوه وقال امرؤ القيس.
فظل طهاة اللحم من بين منضج . وقولها لا تفتر اي لا تسكن ولا
تضعف في خدمتها والفتور السكون والفتور الضعف . وقولها
ولا تعدى اي لا تصرف قال ابن الانباري يقال عداه عن الشيء يعدوه
اذا صرفه قال ابن دريد ويقال العداء والشغل يعدوك عن الشيء
وقولها تقدح اي تغرف والمقدحة المغرفة قاله الهروي وغيره و
تنصب ترفع على النار قال ابن دريد نصب القوم السير اذا رفعوه
وكل شيء رفعته فقد نصبته والمنصب شيء من حديد ينصب عليه القدر
وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ناصب ومنصب اي كد وتعب
وقولها في ماله على الجمم معكوس الجمم جمع جمة وهم القوم يسالون
في قال ابن الانباري وانشد تضرب في الهيجا وتعطي في الجمم ومعكوس
اي مردود معطوف والعفاة السائلون ومحبوس موقوف عليهم **معناه**
وصفت بوسعته على ضيفانه في الماكول والمشروب واكرامهم بما يطربهم و

ويلهيهم ويسرهم وانه جواد كريم لا ينقطع اطعامه ولا تعيب قدوره
ولا تستريح طهاته وان ما له محبوس على السؤال والطالبين
موقوف على مبتغي الرفد وذي صدى السبيل مردود عليهم **وغريب**
قولها والاوطاب تمخض الاوطاب تختص باسقية اللبن وتسمية
غيرها اوعية اللبن بها على ضرب من المجاز والمشابهة واحدها وطب وجمعه
المعروف وطاب في الكثرة واوطب في القلة وقد جمعوا اوطبا على اطب
واما اوطاب فنادر **تنبيه** ذكر ابو سعيد النيسابوري ان جمع
وطب على اوطاب في هذا الحديث منكر في العربية لان فعلا لا يجمع على
افعال قال الفقيه القاضي رضي الله عنه لم يقل ابو سعيد شيئا اما انكاره
ان يجمع وطب على اوطاب في العربية فهذه عربية صحيحة منقولة
عن افصح العرب وافصح النطق فحكاها صلى الله عليه وسلم وحكتها
عائشة بحضرته ورواها فصحاء التابعين ولا يحكون لحنا وذكروها
عن عرب عاربة وجاهلية بائدة فقولها حجة وبينا وجدنا مثل
هذه الطرق في اكثر اللغة ولا يقال في مثل هذا منكر ولا خطاء ولكنه
يقال نادر وكيف وائمة هذا الشأن يحكون عنه . قال الخليل جمع
الوطب وطاب واوطاب وحكى مثله ابن دريد في الجمهرة واما قوله
ان فعلا لا يجمع على افعال فغير مسلم فقد جمع فعل على افعال في حروف
معلومة قالوا زند وازناد وفرخ وافراخ وفرد وافراد وجد واجداد وانف وآناف ورفغ و
ارفاغ ورأد وارآد حكاها سيبويه قال وقد يجيء فعل وفعال على
افعل كما قال الشاعر . وزند كان ثقب ازنادها قال سيبويه وليس
ذا بالباب في كلام العرب يعني انه ليس بالمطرد ومثله . وامست على آنافها
غبراتها قال والقياس في فعل وفعل في القليل وفي الكثير فعال وفعول
وما سوى ذلك فلا تعلمه الا بالسمع وحكى ابن الاعرابي في جمع حلق . وفي
الحديث الصحيح على انقاب المدينة ملائكة جمع نقب واما ما كان عينه
ياء او واو فان باب فعل جمعه في القليل افعال نحو اسواط واثواب وارواع
وافواس والواح وابيات واقياد واشياخ واعياد واعيان وهو
باب مطرد كثير مستعمل معروف في المعتل وهو في الصحيح نادر وقد قالوا

اهل

اهل واهال وارض واراض ومثله اجناد واشكال وحكى بعضهم حمل واحمال
وحبر واخبار وقد يقال ان افعال ههنا محمول على فعل فقد قالوا حبر
ايضا وقالوا حمل كما حملوا اشعارا وانهارا على فعل شعر . ونهر فلا ينكر ما جاء
على هذا اذا سمع كما قال سيبويه رحمه الله وقد رايت في بعض روايات
هذا الحديث في اصل قديم من كتاب النسائي رواية حمزة الحافظ والاطاب
تمخض بسقوط الواو مصلحا فان صحت هذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا
فهي على الاصل وجمع وطاب ثم ابدل الواو همزة كما قالوا اشاح ووشاح
ووعاء واعاء ووكاف واكاف ووقا واقا ووساده والله اعلم ووقع
في رواية يعقوب ابن السكيت في زيادة غريبة رفعت في بعض نسخ
الالفاظ على الاصل حدثنا بهذه الزيادة شيخنا ابن عبد الله بن سليمان
النحوي عن خاله ابي محمد غانم بن وليد وفي اصله قراءة ومنه نقلت عن
ابي عمر الشيباني بسنده الى يعقوب **مغناة** فقلت اخرج ابو زرع
والاوطاب تمخض يحتمل انها ارادت تكثير خروجه من منزلها وعدوه
لذلك لانه وقت قيام الخدم والعبيد لاشغالهم ومهنهم وانطوى
اثناء ذلك كثرة خير داره وغزر لبنه وان عندهم منه ما يشربون صريحا
ومخيضا ويفضل عن حاجتهم حتى يمخضوه في الاوطاب ويستخرجوا
زبده وسمنه كما قال الشاعر فنقلني الى اهل صاهل وحامل ومنق ودايس
ومن هذا حديث الحجاج وقد سال وافدا عليه عن الغيث فقال له كانت
سماء ولم ارها وسمعت الرواد تدعو الى ريادتها وسمعت قائلا
يقول هلم اظعنكم الى محلة تطفا فيها النيران وتشتكي فيها النساء
وتتنافس المعزى قال فلم يفهم الحجاج مراده فاعتل عليه وقال له انما
تخاطب اهل الشام فافهمهم فقال اما تطفي النيران فاخصب الناس وكثر
الزبد والسمن واللبن فلا يستعينوا عن النار للخبز واما تشتكي النساء
فان المراة تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها
في حديث طويل ويحتمل ان تريد انه خرج في استقبال الزمان وطيبه
وربيعه ووقت تمخض الناس وان خروجه اثنا السفر وعنى كان في هذا
الزمن فتكون الفائدة في الاحتمال الاول تعريفنا بخروجه عنها بكرة من نهارها

وفي الاحتمال الثاني اعلامها بوقت خروجه عنها من فصول الزمان وقولها
معها ولدان كالفهدين وفي رواية كالصقرين وصفت ولديها بالفهدين
او صقرين لاستجلائهما واكتناز اجسامهما واحتاجت الى ذكرهما هنا
والله اعلم لتنبه ان ذلك كان احد اسباب تزويج ابي زرع لها لان
العرب كانت ترغب في الاولاد وتحرص على النسل وكثرة العدد وتستعد
لذلك بالنساء المنجبات في الخلق والخلق فيحتمل ان ابا زرع لما راى هذه
المراة واعجبه خلقها وولداها لكمال خلقهما وظهور مخايل النجابة فيهما
حرص على نكاحها وقال اسمعيل بن ابي اويس كالفهدين سارين حسنين
نفيسين. ومن رواه اخواها جاء فالمشهور والاصح واكثر الروايات
فان حمل على ظاهره كان امدح لها وادل على صغر سنها ونهود ثدييها
كما قال الهذلي لها كنية عمرو وليس لها عمرو وتؤيده قوله في رواية
عبد بن حميد بجارية شابة. وقد يتاول فيجمع بينه وبين رواية
من روى ابناها وولداها ان يجعلا اخوين لها في حسن الصورة وكمال
الخلقة. وقولها يلعبان من تحت خصرها برمانتين ذهب بعضهم
الى انه اراد ثدييها. ورد هذا ابو عبيد فقال وليس هذا موضعه وانما
اراد انها ذات كفل عظيم فاذا استلقت نتا الكفل بها عن الارض حتى تصير
تحتها فجوة تجري فيها الرمان ويؤيده تاويل ابي عبيد ما ورد في احدى
الروايات المتقدمة يرمي من تحت خصرها بالرمانتين ولا يقال في الثديين
يرميان ويعضده ايضا ما وقع مفسرا في حديث ابي معاوية عن
هشام الذي قدمناه وفقد له قد مر بجارية يلعب معها اخواها
وهي مستلقية على قفاها واخواها معهما رمانة يلعبان بها يرميان
من تحتها فتخرج من الجانب الاخر من عظم اليتيها فيسر الامر كما تراه فان
سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال على ان هذا الكلام بعيد من
منها لفظ كلام ام زرع وتعضد التاويل الاخر قوله في الرواية الاخرى
يلعبان من تحتها ومن تحت صدرها وقوله في رواية غندر يلعب
من تحت درعها برمانتين ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم
بالرمان تحت اصلاب امهاتهم وكيف تجلس هذه المراة لهم وتستلقي

حتى

حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم وايضا فان حمل الرمانتين ولان العادة
بالالف واللام عليهما وقع في بعض الروايات على رمانتين من الرمان
لا يجوز في العربية لان رمانتين من الرمان مفهومتين نكرتان ولا يصح
ان تدخل فيها الالف واللام ولا يصح ان يريد رمانتين من الرمان معهودتين
والاشبه ان يكون المراد بهما الثديين ويكون قوله يلعبان من تحت خصرها
او صدرها اي ان ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين وان ولديها كانا
في حضنها او حقفا في جنبيها وتشبيهه الثديين بالرمانتين يدل على
نهودهما وكعوبهما وذلك لصغرها وفتاء سنها وانها بعد ممن لم تسن
وتترهل وتسترسل فينكسر ثدياها وتتدلى وليس تشبيههما
حينئذ بالرمان وذهب الداودي ان معنى هذا اي يرميان من تحتها
اذا رقدت على جنبيها لرقة خصرها والكلام فيه على ما تقدم وقولها
وكل بدل اعور قد هذا مثل ومعناه ان البدل من الشيء لا يقوم مقام
المبدل منه وانه دونه وانزل منه. وقولها اعور اي معيب ردي
وليس من عور العين حكى ثعلب الاعور الردي قال والعرب تقول للردي
من كل شيء اعور والانثى عوراء ومنه قالوا كلمة عوراء اي قبيحة
قال الشاعر: اذا قيلت العوراء اغضى كانه ذليل بلا ذل ولو شاء
انتصر وكما قال الكميت: ولا استعذب العوراء يوما فقالها فاخبرت
ان هذا البدل لم يسد مسد ابي زرع كما فسرته بعد هذا والسري
بالسين المهملة الرجل السيد والسروة المروءة قال الحربي
في تفسير سخيا والسري من كل شيء خياره ويقال بالشين المعجمة ايضا و
الجمع سراة وشراة حكاهما يعقوب وحكى لنا شيخنا ابو الحسين بن سراج
رحمه الله تعالى عن ابي علي القالي ان الشراة بالشين المعجمة ايضا الردي
فهو من الاضداد والشري بالشين المعجمة الفرس الذي يستشري في
سيره اي يلج ويمضي بلا فتور ولا انكسار قالت نابت شري البعير
في سيره اذا اسرع ومنه شري البرق اذا كثر لمعانه وشرا الامر اذا ترامى
وتفاقم وقال سعر معناه جاد السير فرس شري خيار فائق ويروى
اعوجيا فهو منسوب الى فرس اسمه اعوج كان من الخيل المشهورة

36

تنسب لعدة من جياد الخيل وهما فرسان احدهما فرس كان لكندة
ثم تصير لسليم ثم لبني هلال ابن عامر قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك
يعني من كندة فغزا بني سليم فقتلوه واخذوا فرسه وقال ابو العباس المبرد
اعوج فرس لغني وقيل لبني كلاب وقيل سمي اعوج لانه ركب صغيرا وطيا
قبل ان تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وقيل بل اعوج ظهره وامه
سبل فرس كانت لغني مشهورة ايضا وهذا هو الاعوج الاصغر واما اعوج
الاكبر فمشهور ايضا وهو ولد فرس اسمه ذا الهجوس والهجرس ولد
فرس اسمه الديناري والديناري ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داود عليه
السلام من بقية الخيل التي خرجت له من البحر وكان اعطاه لقوم وفدوا
عليه من اجرهم وقال لهم تصيدوا على هذا الفرس ما شئتم فكان لا يتزيد
شيء فسمي زاد الراكب قال ابن خالويه واليه تنسب اكثر الافراس المشهورة
ذكر لنا ذلك كله الاستاذ ابو عبد الله بن سليمان وبعض عن غيره وذكر
منه ابن الهيعة الحجاري في كتاب الحلائب والجلائب . والخطي الرمح
نسب الى الخط وهو موضع من ناحية البحرين ياتي الرماح اليها من الهند
ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب فينسب اليه ولا يصح قول من قال
انه هذا ينبت الرماح وقيل ان سفينة في الزمان الاول مملوءة رماحا
قذفها البحر الى هذه الناحية فخرجت رماحها فنسب اليها وقيل الخط
الساحل وقيل كل ساحل خط حكاه صاحب الجمهرة عن بعض اللغويين
قال والخط سيف البحرين وعمان وأراح من الرواح ومعناه اتى بها
للمراح وهو موضع مبيت الماشية وليلا اسماها بعد المجد وقال ابن ابي
اويس تقول اعطاني نعما كثيرة والنعم الابل خاصة جمع لا واحد له
من لفظه وذكر بعضهم انه ينطق وقيل ان النعم والانعام بمعنى واحد
والنعم يذكر ويؤنث وقال تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا ثم قال
ثمانية ازواج فذكر انواع الماشية ووقع في بعض الروايات نعما جمع نعمة
والاشهر نعما بالفتح والثري الكثير من كل شيء يقال اثرى بنو فلان ببني
فلان اي صاروا اكثر منهم ويقال اثرى الرجل اذا كثر ماله وقوله
ميري اي صليهم بالميرة وهي الطعام واصله من امتيار البوادي من الحواضر

غريبه

غريبه قوله نعما او نعما ثريا والنعم يؤنث وجاء بثري الذي هو
وصف المذكر ولو ان فيه علامة تانيث فيقول ثرية وكذلك يلزم
على القول بتانيث النعم ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقي التانيث
فلك وجهان في اظهار علامة تانيثه في الفعل واسم الفاعل والصفة
او تركها وكذلك في جموع المذكر والمؤنث الحقيقي كما قال تعالى وقال
نسوة وقالت الاعراب وقال رجالا كثيرا واعجاز نخل منقعر وقال الشاعر
طويلا سواريه شديدا دعائمه وقال لئيم ماثره قعدد . كما لو قال
كثيرة ومنقعرة وطويلة وشديدة ولئيمة الوجهان جائزان واما على
رواية النعم والقول بانه مذكر فهو الوجه فلا يحتاج فيه الى كلام
معناه وصفت هذا الرجل الذي تزوجته بالسودد والسعة
في ذات يده وانه صاحب حرب وركوب وبالاحسان اليها والتفضل على اهلها
ثم اخبرت انه مع هذا كله لم يقع عندها موقع ابي زرع وان كثيره
دون قليل ابي زرع وكيف بكثيره وان حال هذا الآخر عندها معتبة
اذا اضافته الى حال ابي زرع مع اساءة ابي زرع لها اخيرا في تطليقها
والاستبدال بها ولكن حبها له بغض اليها الناس بعده وكذا اكره
اولو الراي تزويج امراة لها زوج طلقها لميل نفسها اليه وقالوا لا
تتزوج حنانة ولا انانة ولا منانة فالحنانة وجهان احدهما
التي لها زوج وهي التي تحن اليه والثاني لولد من قبلك فهي ايضا كثيرة
الحنين مشتغلة به عنك والانانة الكثيرة الامراض فهي تان ابدا فلا
يصفو عيشك معها لذلك والمنانة التي لها مال تمن عليك به وقولها
واعطاني من رائحة ويروي واتاني من كل سائمة زوجا واتاني واعطاني
بمعنى واحد والسائمة الراعية والرائحة اصلها الاتية وقت الرواح وهو
اخر النهار ومنه سمي المراح وهو موضع مبيتها والرواح ضد الغدو
وفي الحديث لغدوة في سبيل الله او روحة وفيه كالطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وقد وجد للعرب استعماله في النهار كله حكاه الهروي وغيره وعليه
حمل الشافعي وغيره حديث رواح الجمعة ويقال تروح القوم وراحوا اذا
ساروا اي وقت كان ومن رواه واراح علي من كل رائحة زوجين ومن كل

ابد اشنق فالابدة المتوحشة والجمع اوابد يقال ابدت تابد ابودا اذا توحشت
منه كلمة ابدة ورماه بابدة اي بكلمة غريبة لم يعهد مثلها والاوابد الوحش
قال امرؤ القيس • قيد الاوابد هيكل • وقد شبه بها الابل المولدة
والنعم المهملة عربية ومن رائحة من كل ذي رائحة فعلى هذا فقوله ذا
صباح وذا انه [illegible] كانه زعم للكلام وصلة له والا فذو اصلها الانضاف
الا الى الاجناس كقولك ذو مال وذو علم ولا تنضاف الى الصفات فيقال
ذو عالم ولا ذو عاقل لانه يكتفي بذكر الصفة عنها بخلاف الجنس الذي
لا تصف به اذا اردت الوصف الا بذي او بشرف اسم صفته منه فادخلت
ذي ليتوصل بها الى الوصف بالاجناس ولاجل ذلك لم تضف الى صفة مشتقة
وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ولا اعلم لهذه اللفظة مثلا في كلام العرب •
معناه اراد انه لها هنا كثرة ما اعطاها من جميع ما يروح
الى المنزل لها من ابل وبقر وغنم وعبيد ودواب وانه اعطاها اصنافا من ذلك
ولم يقتصر على نوع في ذلك حتى ثناه وضعفه احسانا اليها وتكرما عليها
وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى مثنى ويضيفها اليها كذلك
واثنتي والزوج يقع على الواحد ويقع على الاثنين . ولذلك قالوا زوجان
ولكن لا يقع على الواحد الا اذا كان معه آخر قاله الهروي قال ابن دريد
للاثنان زوج وزوجان والزوج النصف ومنه قوله تعالى او يزوجهم
ذكرانا واناثا وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا وانكر ابن الانباري ان يسمى
الاثنان زوجا وانما يقال لهما زوجان وقول النبي صلى الله عليه وسلم •
كنت لك كابي زرع لام زرع تطييبا لنفسها ومبالغة في حسن معاشرتها
لما ذكرته ام زرع من حسن صحبته لها وشكرها من جماع حاله معها
ثم استثنى من ذلك الامر المكروه منه لقوله انه طلقها واني لا اطلقك
تتميما لتطييب نفسها واكمالا لطمانينة قلبها للاهتمام لعموم
التشبيه بجملة احوال ابي زرع اذ لم يكن فيها ما تذم سوى طلاقه لها وشبهه
وقوله في الرواية الاخرى في الالفة والرفا لا في الفرقة والخلاء اي في الاتفاق
لا في الافتراق لان الرفا هو من باب الالفة والاتفاق . والخلاء من باب
الفرقة والطلاق قال ابو عبيد هكذا الرفا بمعنيين يكون من الاتفاق

وحسن

وحسن الاجتماع ومنه رفو الثوب لانه يضم بعضه الى بعض ويكون
الرفا من الهدو والسكون وقال ابو زيد الرفا الموافقة وقيل الرفا
المال حكاه المفضل عن اليمامي في منتخبه وقيل الرفا السرور وقال
ابن الانباري الخلاء المباعدة والمجانبة وكانه ماخوذ من خلاء الابل
وهو كالحران للدواب ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ما خلات القصوى [illegible] وفي رواية ابي معوية الضرير ما دل على
ان الطلاق لم يكن من قبل ابي زرع واختياره فانه قال فلم يزل بها ابو زرع
حتى طلقها وقول عائشة بابي انت وامي بل انت خير لي من ابي زرع جواب
مثلها في فضلها وعلمها فان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبرها انه
لها كابي زرع لام زرع لفرط محبة ام زرع له واحسانه لها اخبرته
هي انه عندها افضل وهي له احب من ام زرع لابي زرع عربية
قوله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع اي انا لك كابي زرع
لام زرع كما قال بعضهم في قوله تعالى كنتم خير امة اي انتم وكان
زائدة قالوا ومثله قوله تعالى من كان في المهد اي هو في المهد وقوله وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها اي انت عليها وصدقت ام كنت من الكاذبين
وفي بعض هذا اختلاف قالوا ومنه قوله في الحديث كن ابا ذر وقد
يحتمل عندي غير هذا مما قالوا وانشدوا • وجيران لنا كانوا كرام •
وقد يصح ان تكون كنت ههنا على بابها في النقص والاستعمال وافادة
زمان محصل اي كنت لك في سابق علم الله وقضائه كابي زرع لام زرع
في احسانه لها ومحبتها فيه فيتوجه فيها ايضا وجه ثالث وهو ان تكون
على بابها ثم يراد بها الاتصال اي كنت لك فيما مضى من صحبتي لك وعشرتي
اياك كابي زرع وانا كذلك لا ابتذل لعشرتك كما قالوا في قول مرة بن محكان
السعدي • انا ابن محكان اخوالي بنو مطر انمى اليهم وكانوا معشرا نجبا •
اي كان من مضى منهم نجيبا ومن بقي كذلك وفي الكتاب العزيز وكان الله
سميعا بصيرا وان الله كان عليما غفورا في امثلة كثيرة وهو تعالى كان
في الازل كذلك وكذلك هو جل اسمه وعليه حمل بعضهم قوله كنتم خير
امة ومن كان في المهد صبيا فقه قال المهلب بن ابي صفرة الفقيه فيه من

الفقه جواز التأسي بأهل الإحسان من كل أمة ألا ترى أن أم زرع
أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته فامتثله النبي صلى الله عليه وسلم
قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهذا عندي غير مسلم
لأنا لا نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم اقتدى بأبي زرع بل أخبر
أنه لها كأبي زرع وأعلم أن حاله معها مثل حاله لكن لا على التأسي
به. وأما قوله بجواز التأسي بأهل الإحسان من كل أمة فصحيح
ما لم تصادمه الشريعة وفيه من الفقه جواز قول المرأة لصاحبه
بأبي أنت وأمي وفداك أبي وأمي وهما بمعنى واحد وقد قاله النبي
صلى الله عليه وسلم لسعد رحمه الله والزبير وغيرهما وهو
من معروف كلام العرب وقاله أبو بكر وغيره للنبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك قوله جعلت فداك ونفسي فداؤك وقاله أبو طلحة وأبو
ذر ورافع ابن خديج للنبي صلى الله عليه وسلم وفي شعر حسان
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء ومنه الرد على من منع
قول هذا وما يحكى من إنكاره عن الحسن وممن قال لا يقوله وإنه
لا يفدى أحد بمسلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم وما روي من كراهة
عمر لقول القائل له جعلني الله فداك وكراهة النبي صلى الله عليه
وسلم مثل ذلك من الزبير من قوله جعلني الله فداك يا رسول الله
وقوله ما تركت أعرابيتك بعد وقد ضعف الطبري هذه الآثار وهكذا
ترجم أبو عبد الرحمن النسائي على هذا الحديث وخرج في الباب معه حديث
ابن عمر لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ألا ترى أم زرع كيف شكرت
فعل زوجها ثم انظر عائشة بعد كيف شكر بعد للنبي صلى الله عليه وسلم
واعترفت بأنه خير لها من أبي زرع لأم زرع وفيه من الفقه
مدح الرجل وجهه بما فيه إذا علم أن ذلك غير مفسد له ولا مغير
نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم مظنة كل مدح ومستحق كل ثناء
وإن من أثنى عليه بما أثنى فهو فوق ذلك وقد ورد في الآثار أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثناء إلا من مكافئ قال العتبي معناه
إلا أن يكون ممن أنعم عليه صلى الله عليه وسلم فيكافئه الآخر بالثناء

...أو قول إنكارها إن صحت
...ن ذلك قال هو وغيره
...يه شكر المرأة إحسان زوجها

وردّ

38

وردّ هذا ابن الأنباري وقال هذا غلط لا يفدى أحد بعد أيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى بعثه للناس كافة
وهداهم ورحمهم به فكلهم تحت نعمته والثناء عليه فرض لا يتم
الإسلام إلا به وإنما المعنى لا يقبل الثناء إلا من رجل عرف حقيقة
إسلامه ممن لا يلتبس بنفاق وقيل إلا من مكافئ مقارب في مدحه غير مفرط
فيه كما قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى
عيسى عليه السلام وفيه من الفقه جواز ترفئة المتزوج بلفظ
الرفاء على ما كانت عادة العرب لقوله كنت لك كأبي زرع في الألفة والرفاء
فيستفاد من هذا اللفظ إن لم يصح عنه النهي بجواز قوله للمتزوج
لأنه إذا قاله أحد الزوجين لصاحبه فما يمنع أن يقوله الأجنبي
لأحدهما وقد اختلف العلماء في هذا فروي جوازه وقال عبد الملك
ابن حبيب واستحبوا تهنئة الناكح والدعاء له وكان مما يقال بالرفاء
والبنين بارك الله لك ولا بأس بالزيادة على هذا من ذكر السعادة
وما أحب من خير وحكي عن شريح أنه قال للمتزوج بالرفاء والبنين
وكرهه آخرون فروي عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة فقالوا له
بالرفاء والبنين فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لكم وبارك فيكم ذكره النسائي وفي رواية عليكم مكان فيكم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين
ثنا القاضي أبو عبد الله التميمي وغيره قالوا ثنا العذري قال ثنا ابن سراج
ثنا أبو القاسم الزهري ثنا أبو بكر بن عائذ قال ثنا أحمد بن خلد ثنا
علي بن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا هاشم بن القاسم عن
شيخ سماه عن الحسن عن عقيل بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في توجيهه فحكى المفضل بن سلمة في كتابه الفاخر فيه وجهين
أحدهما أن ذلك كان لأن العرب كانت تعتقد بقولها ذلك اجتماعا لا افتراق
فيه وهذا ليس كذلك والثاني أنه كلام ليس فيه ذكر الله والله أعلم
وذكر هذا الحديث الطبري والخطابي قال الطبري إلا أن الحسن راوي
حديث عقيل بن أبي طالب لم يسمع منه وقد حدث به عنه فلم يرفعه

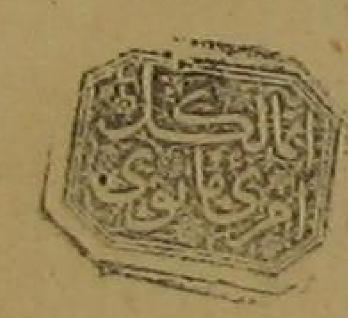
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الطبري والذي اختاره ما صحت به
الرواية عنه صلى الله عليه وسلم انه اذا رفا الرجل بتزوج قال
بارك الله لكم وبارك عليكم قال والزيادة غير محفوظة وقد ذكر
ابو داود والترمذي هذا الحديث من طريق ابي هريرة وزاد فيه وجمع
بينكما في خير اناه هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه قال نا
ابو علي الحافظ قال نا ابو عمر بن عبد البر قال نا ابو محمد بن عبد المومن
قال نا ابو بكر بن داسة قال نا ابو داود قال نا عبد العزيز بن محمد عن
سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وترجم
البخاري كيف يدعا للمتزوج وادخل حديث عبد الرحمن بن عوف وقول
النبي صلى الله عليه وسلم وقد راى عليه اثر صفرة ما هذا قال اني تزوجت
امراة قال بارك الله لك اولم ولو بشاة وقد روي عن معاذ بن جبل شهد
النبي صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال على الالفة والخير
والطير الميمون والسعة في الرزق وبارك الله لكم وفيه من الفقه جواز
المزح في الاحايين واباحة المداعبة مع الاهل وبسط الوجه واللسان
مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل فهو من حسن العشرة وطيب النفس وقد
كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وروي عنه ابو هريرة قال
قالوا لرسول الله عليه وسلم انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا ورويت
عنه احاديث مشهورة في ممازحته بلالا وابا عمير وخوات وزاهرا وانسا
وعائشة وغيرهم وقال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجز • وقال لامراة
سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وقال لاخر لاحملنك على ابن
الناقة وقال لجابر فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ويروى تلاعبها وتلاعبك
في اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه وقد روى
الهيثم بن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسانيدهم عن عكرمة يرفعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة وذلك ان مع المزح والانبساط
التحبب والقبول لسيما مع الاهل والاصحاب وقد مدح بمثله الاشراف
والكرام كما قال الشاعر • هش الظفر الميمون ان راح او غدا بالركب والتعابد
المتحبب يحكي مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل علي وزيد بن ثابت وابن سيرين

والشعبي

والشعبي وغيرهم ولا اعلم احدا منع المداعبة مع الاهل والانبساط 39
مع العامة واهل البيت • وقد قال عمر رضي الله عنه ينبغي للرجل ان
يكون في اهله كالصبي واذا التمس ما عنده وجد رجلا وعن زيد بن ثابت
انه كان من افكه الناس في اهله وازمتهم اذا جلس مع القوم واما ما روي
في ذم المزاح والنهي عنه مثل ما ناه القاضي محمد بن اسمعيل عن ابي الوليد
هشام بن محمد بن مسلمة عن ابي محمد بن النحاس عن ابي سعيد بن الاعرابي
عن محمد بن عبد الله الحضرمي نا ابن نمير نا المحاربي عن ليث عن عبد الملك
عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار
اخاك ولا تمازحه ونا احمد بن محمد الخولاني اجازة عن ابي عمر الطلمنكي
عن احمد بن عبد الله عن ابي سعيد بن الاعرابي عن ابي داود نا سليمان بن عبد
الرحمن نا شعيب بن اسحق عن ابن ابي ذئب عن عبد الله بن السائب عن
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياخذ احدكم متاع اخيه
جادا لاعبا • وقول عمر بن عبد العزيز اياي والمزاح فانه يجر القبيحة ويورث
الضغينة وقول خالد بن صفوان المزاح سباب النوكا فليس هذا من
المزاح المحمود المباح فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب والكذب
او تسلط به على عرض رجل او ماله فليس هو من المزاح المحمود
ولا هو من جنس ما مازح به النبي صلى الله عليه وسلم فانه ليس
من مزاح النبي صلى الله عليه وسلم شيء زايد على خفض الجناح و
بسط الجانب وجلب التودد وقد ذهب الى انه يسقط الهيبة
كما قال اكثم بن صيفي فلعله في الاكثار منه والتخلق به حتى يؤدي
الى سقوط المروة واستشعار سمة السخف والمجانة واما المحمود منه
ما قل وندر واستجمت به النفس عند كلالها كما قدمنا في اول
الكتاب وبيناه وبسطت له النفس للغير عند انقباضها كما شرحناه
وقد قال ابو الفتح البستي افد طبعك المكدود بالجد راحة يجم
وعلله بشيء من المزح ولكن اذا اعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي
الطعام من الملح واما قول من قال انما سمي المزاح مزاحا لانه زاح
عن الحق فلا يصح لفظا ولا معنى اما المعنى فقد كان صلى الله عليه وسلم

يمزح ولا يقول الا حقا واما اللفظ فان الميم في المزاح اصلية ثابتة
في الاسم والفعل ولو كان كما قال لكانت زائدة ساقطة من الفعل وانشد
ابو عبيد للمفضل في ذمه ، اما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا
ارضاهما لصديق اني بلوتهما فلم احمدهما لمجاور جارا ولا لرفيق
وانشدت في هذا المعنى مما قلته قديما وهو من المتشابه لفظا في
اذا ما بسطت بساط انبساط فمنه فدينك فاطو المزاجا فان المزاح
كما قد رآه اولوا العلم قبل عن العلم راحا وفيه من الفقدان المشبه
بالشيء لا ينزل منزلته في كل شيء والنبي صلى الله عليه وسلم قد شبه
نفسه النفيسة في صحبته عائشة رضي الله عنها بابي زرع ومن فعل
ابي زرع معها الطلاق فلم يكن لازما ولو ان رجلا ذكر امراة له قد
طلقها ثم قال للاخرى ولست مثلها فوصفها لزوجة اخرى له بما وصف
كثيرة حسنة او رديئة ثم ذكر انه طلقها ثم قال للاخرى وانت
مثلها ولم ينو مثلها في الطلاق لم يلزمه الطلاق وحمل على مراده
من التشبيه لها فيما تقدم ذكره ولم يلزمه طلاق حتى ينوي
مثلها في الطلاق او يكون لم يذكر شيئا من الاول سوى الطلاق
مثل ان يقول فلانة طالق او قد طلقتها او فلان طلق زوجه
فلانة ثم يقول لزوجة له اخرى وانت مثلها فهذا يلزمه الطلاق
نواه او لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة اذ لا احتمال لقوله سوى
الزام الطلاق **تنبيه** ذكر بعض من تكلم على معاني الحديث
ان في هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد قال لان ام زرع اخبرت
بما اخبرت فامتثله النبي صلى الله عليه وسلم قال الفقيه القاضي
رضي الله عنه هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا فقه والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يقول انه امتثل حال زرع في احسانه لام زرع بل قد
لان ذلك وانما اخبر عائشة انه لها مثل ابي زرع لام زرع الا تراه
كيف قال كنت لك فاخبر عن حال كائنة ماسه وان كان انما تاسى
بشيمة ابي زرع كما قال المهلب فقال ان فيه التاسي باهل الاحسان من كل
امة فليس هذا من باب قبول الواحد لان التاسي بمحاسن الاخلاق

شيمة اهل الفضل وامتثال محاسن السلوف شمائل اولي العدل وخبر
الواحد باب اخر ماخذه ومستنده الى صاحب الشرع وقبوله وامتثال
مقتضاه حكم طريقه عند اهل التحقيق القطع وفيها المعاتبة من القول
كفاية لا يحتمل اكثر منها الوسع • بيان • ونحن الان نفي بما وعدناه
من ذكر ما اشتمل عليه هذا الحديث من ضروب الفصاحة وفنون البلاغة
والابواب الملقبة بالبديع في هذه الصناعة من لفظ رائق ومعنى فائق
ونظم متناسب وتاليف متعاضد متناسق وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة
من الكلام الفصيح ذا الالفاظ الصحيح الاغراض البليغ العبارة البديع
الكناية والاشارة الرفيع التشبيه والاستعارة وبعضهن ابلغ فيه
واعلى يدا واكثر طولا وامكن قاعدة واصلا وكلام بعضهن اكثر رونقا
وديباجة وارق حاشية واحلى مجاجة وبعضهن اصدق في الفصاحة



لهجة واوضح في البيان محجة وابلغ في البلاغة والايجاز حجة فانت
اذا تاملت كلام ام زرع وجدته مع كثرة فصوله وقلة فضوله
مختار الكلمات واضح السمات نير القسمات قد قدرت الفاظه
قدر معانيه وقررت قواعده وشيدت مبانيه وجعلت لبعضه
في البلاغة موضعا واودعته من البديع بدعا واذا المحب كلام التاسعة
صاحبة العماد والنجاد والرماد الفيتها الافانين البلاغة جامعة ولعلم
البيان رافعة وبعضا الايجاز قارعة واعتبر كلام الاولى فانه مع
صدق تشبيهه وصفا له وجوهره قد جمع من حسن الكلام انواعا
وكشف عن محيا البلاغة قناعا وقرن بين جزالة اللفظ وحلاوة البديع
وضم تفاريق المناسبة والمقابلة والمطابقة والمجانسة والترتيب
والترصيع فاما صدق تشبيهها فعلى ما شرحناه قبل والتشبيه احد
ابواب البلاغة وابدع افانين هذه الصناعة وهو موضوع للجلاء والكشف
والمبالغة في السلد والوصف والعبارة عن الخفي بالجلي والمتوهم بالمحسوس
بالمحسوس والحقير بالخطير والشيء بما هو اعظم منه واحسن واحسن
وادون وعن القليل الوجود بالمالوف المعهود وكل هذا لتاكيد البيان
والمبالغة في الايضاح فانظر اين قول القائل الذين كفروا اعمالهم ينتفعون

من قوله تعالى الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية وتأمل بون
ما بين الموضعين من البيان وفرق ما بين الكلامين في الايضاح
وان كان الغرض واحدا والموضوع سواء وكذلك قول امرأة زوجي بخيل
لا يوصل الى شيء مما عنده من كلام هذه المرأة المتكلم عليه ووجه
بلاغة التشبيه ما فيه من الجلاء والايضاح كما قدمناه واكثر تشبيهات
الكتاب العزيز من هذا النمط كقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح الاية ومثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية
او لما فيه من المبالغة والغلو وهو من ابواب البلاغة ومرجعه
الى البيان والايضاح كتسمية الشيء بما هو اعظم منه واكبر نحو قوله
تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام او افضل منه واحسن
كانهن الياقوت والمرجان او احقر منه وادون كقوله كمثل الكلب الاية
او لما فيه من التخريج والتوليد لغريب الشبه ومخيلة المثال وهو وجه
بلاغته كقول المعري في كف الثريا • كان بمنهما سرقتك شيئا •
ومقطوع على السرقة البنان وقد يقع تشبيه الشيء بالشيء تشبيها
محمودا الضرب من الشبه لتشريح شيء من الاوصاف المتشابهة كقول امرئ القيس •
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
لكنه بالحق يتنوع والتخريج الذي بلاغته الفطنة لادراك التشبيه
لا غير وصدقه فيه وان كان لبعضهم في هذا مقال لا ارتضيه
ولا بد ان يكون التشبيه صادقا في الوجه الذي وقع به التشبيه والا
اختل به الكلام وهذه المرأة فقد شبهت بخل زوجها وانه لا نيل لها
عنده مع شراسة اخلاقه وكبر نفسه بلحم الجمل الغث على رأس الجبل الوعر
وشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل وبعد خيره ببعد اللحم على
رأسه والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد في لحم الجمل
الغث فاعطت التشبيه حقه ووفته قسطه وهذا من تشبيه
الجلي بالخفي والمتوهم بالمحسوس والحقير بالخطير ومما جاء في كلام
صواحبها من التشبيه قول الثانية على مثل حد السنان المذلق
فصدقت التشبيه لانها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم

الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان المحدد دائما ان يحيد عنه فيهلك
سقوطا او تثبت فيهلكها فبينت بهذا التشبيه قولها قبل ان اسكت
اعلق وان انطق اطلق • وكذلك تشبيه الاخرى زوجها بليل
تهامة وعث عمامه وهذا كله من تشبيه الخفي والمتوهم بالمحسوس
وهو من باب المبالغة وهو الغلو ومثل هذا قول ام زرع مضجعه
كمسل شطبة فهو من باب الغلو الى سائر ما عندهن من التشبيهات
فكلها احسان نعات قد تكلم الكلام عليها في مواضعها وقول
الثامنة المس مس ارنب • والريح ريح زرنب • تشبيه ايضا ولكن
بغير اداة التشبيه فان التشبيه على ضربين باداته وهي الكاف وكان
ومثل وشبه واخواتها وبغير اداة التشبيه ومثله قول ام زرع
يلعبان من تحت خصرها برمانتين على تاويل انهما النهدان ومثله
قول الرابعة والغث غث عمامه فهذا تشبيه بغير الة التشبيه
كقوله تعالى تمر مر السحاب • ولقول امرئ القيس سموت اليها بعد
ما نام اهلها • سمو حباب الماء حالا على حال ثم انظر حسن نظم كلامها
وتطارده ولحقة حقه من المولفة والمناسبة في الالفاظ التي هي راس
الفصاحة وزمام البلاغة فانها وازنت الفاظها وماثلت كلمها
وقدرت فقرها وحسنت اسجاعها فوازنت في الفقرة الاولى لحم براس في الثانية
وجمل بجبل وغث بوعث في الرواية الواحدة وبجمع في الرواية الاخرى
فاوقعت كل فقرة في قالب اختها ونسجتها على منوال صاحبها ومن هذا
الباب في القرآن العزيز في حسن التاليف ومناسبة الالفاظ ومقابلة
الكلمات كثير كقوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور •
وقوله فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا على ان هذا داخل في باب
الترصيع ومنه قول السادسة ان اكل اقتف وان شرب اشتف
وان اضطجع التف • وقول الخامسة ان خرج اسد وان دخل فهد • وقول
الرابعة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة • وقول الثامنة المس مس
ارنب والريح ريح زرنب فهذا كله من حسن النظم ومناسبة اللفظ وهو باب
اخر من البديع يسمى المناسبة ومنه قول التاسعة رفيع العماد طويل

النجاد كثير الرماد فكل لفظة على وزن صاحبتها ولفظ قول ام زرع اناس
من حلي اذني وملا من شحم عضدي وقولها صفر ردائها وملء كسائها
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في تحديثها لعائشة في الالفة
والرفا لا في الفرقة والخلا وقولها ارقد واتصبح واشرب فاتقمح
واكل فاتمنح وقول العائشة قليلات المسارح كثيرات المبارك وفي
كلامها الاولى نوع ثالث من البديع يسمى الترصيع وقد يسمى
بالموازنة وبالتسميط وبالتصغير وبالتسجيع وهو ان يتضمن
الفقر وبيت الشعر مقاطع اخر تقفوا في متماثلة غير فقر السجع وقوافي
الشعر اللازمة فيتوشح بها القول ويتفصل بها بعلم اللفظ كما
انا هذه يحمل في وسط الفقرة الاولى وجبل في وسط الفقرة الاخرى
فقصلت بذلك الكلام على حد من المقابلة انا السجعين اللذين
هما غث ووعث فجاء لكل فقرة سجعان متماثلان متقابلان ومثله
قول ام زرع في احدى الروايات لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث
ميرتنا تنقيثا ولا تعب طعامنا تعيثا فان التزام الثاء في بعث و
بث وتنقث ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقر وقول النابغة شحك
اوفلكا وبجكا وجمع كلا لك ومنه في الحديث قول علي رضي الله عنه
انه انفق لشويك واتق لربك وفي طيه باب رابع من البديع وهو مجانسة
جملة بجملة وهو ان لم يجانسه في كل حرف وفقد جانسه في اكثرها
وقد اختلف ارباب البلاغة والنقد في هذا النوع ان لم يكن مشتقا
من اصل واحد فسماها بعضهم مجانسة تغليبا للاكثر واما ابو
الفرج قدامة فسمى هذا النوع مضارعة وهذه مثل قول ام زرع ايضا
رجلا سريا ركب شريا وقولها بيتها فساح وفناؤها فياح وقول
النابغة عجره وبجره وقول ام زرع تعشيشا وتفتيشا واما التجنيس
الحقيقي فهو ان تكون في الكلام لفظتان احداهما مشتقة من الاخرى
كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ويمحق الله الربا ويربي
الصدقات او بمنزلة المشتق كقوله تعالى تتقلب فيه القلوب
والابصار وقوله واسلمت مع سليمان وقوله صلى الله عليه وسلم

اسلم

اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله •
وقول امرئ القيس • لقد طمح الطماح من بعد ارضه في امثلة كثيرة
او تكون لفظتان على صيغة واحدة مختلفة المعاني كقوله صلى الله
عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومن قول لغيره فيه قول
الافوه الاودي • واقطع الهوجل مستانسا بهوجل عيرانة
عنتريس وقريب من هذا الباب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ولع المحدثون والمولدون بعده حتى اكثروا منه فمن مقصر
مجيد كقول البستي سمي وحمى بني سام وحام • فليس كمثله
سام وحام • وقول الطائي ان الصفائح منك قد نضدت على
ملقى عظام لو علمت عظام • وقول الخطابي وكان عقابي في ملوك
عتاب • وكان ابو الفتح البستي يسمي ما كان على صيغة بيت الافوه
بالمتشابه واخترع قوم من المتاخرين انواعا غريبة سموها تجنيس
التركيب كقول المعري معاليتا مفاليتا ومطايا ومطايا وهو
نوع متكلف غير حدود البلاغة ولكن ربما ندر منه المستحسن
كقول الميكالي • تمت محاسنه فما ترى بها مع فصله وسخاه
وكماله الا قصورا وجود عجم ده لا عون للرجل الكريم كماله •
وقول البستي فهذا منهاجي منهاجي • وقوله قد تعنيني فان
تعنى تعسي • وقول الاخر • الى اجلي مشي قدمي • اراقدمي
اراقدمي • والحقوا به ايضا تجنيس التصحيف وهو مشاركة صورة
الحروف في الخط دون اللفظ وهذا لا يدخل في باب البلاغة المستجادة
ولا المتخلفة اصلا ولا في شي من حدود الكلام ولا اصناعته اذ لا
تقرع السمع منه لهجة ولا تقوم له في النطق حجة وقد رايت ابا
منصور الثعالبي وقد عد هذا الباب في باب التجنيس وذكر فيه قوله
تعالى ويحسبون انهم يحسنون صنعا واشباها لهذا من الكلام وليس
عندي من هذا الباب وانما هو من الباب الاول الذي سماه قدامة من المضارعة
وهو التجنيس في اكثر الكلمة او بعضها وذكر في هذا الباب قول بعضهم
النار في الفتيلة كالنار في القبيلة وقول بعضهم الصبغ الصب

وسجف وسحف وصحاصح وضحاضح وشبه هذا فلم يحسن هذا ولو قيل
شيئا لاجل صورة الحروف اذ لا حظ كما قلناه في الفصاحة ولا حظ له
من التجنيس وانما حسن لوزن الكلمتين واتفاق اواخرها وقرب مخارج
اوائلها او اواسطها فهذه هي انواع التجنيس الان فقدامة بن جعفر
كان يسمي اتفاق صيغتي اللفظة باختلاف المعنى الذي من جنس بيت
الافوه بالاطباق والناس كلهم على خلافه وقد رد قوله هذا الاخفش
ابو القسم والامدي وغيرهما وحكوا ان مذهب الخليل والاصمعي
خلافه فقد اتت هذه المراة في كلامها بنوع خامس من البديع وهو المسمى
بالمطابقة عند الجمهور وهو مقابلة الشي بضده فقابلت الوعر
بالسهل والغث بالسمين في الفقرتين الاخيرتين وهو مما يحسن الكلام
بمقابلته ويروق بمناسبته لا خلاف بين ارباب النقد في ذلك وانما
اختلفوا في تلقيبه فكان قدامة يخالف فيه ايضا ويسمي هذا المتكافي
وخالفه في هذا الجميع ولا يكون هذا النوع عنده متكافيا الا اذا كانت
الكلمة وضدها الحقيقي كما وقع هاهنا من مضادة السمين للهزال
والسهولة للوعورة ومثل السواد مع البياض والنطق مع السكوت
فاذا لم يكن له ضد حقيقي ولا جامعة على طرفي نقيض بين و
لكن على حد ما من التقارب كالبياض مع غيره والسواد مع الضوء
فبعضهم يجعله طبقا وبعضهم يسمي الاول طباقا محضا وهذا
طباقا غير محض وبعضهم يسمي هذا مخالفا والاول مطابقا ومن
الباب الاول قول الله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
الاية وقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقول النبي صلى الله عليه
وسلم لعائشة في هذا الحديث في الالفة والرفا لا في الفرقة والخلا فطابق
الالفة بالفرقة التي هي ضدها والرفا بالخلا ومثله قول ام زرع
صفر ردائها وملء كسائها فصفر ضده ملء ومثله قول الثالثة ان انطق
اطلق وان اسكت اعلق فطابقت انطق باسكت الذي هو ضده وقول الرابعة
لا حر ولا قر وقول الخامسة ان دخل فهد وان خرج اسد فدخل وخرج
طباق في اللفظ واسد وفهد طباق من جهة المعنى ولكن لا يسمى طباقا ويسمي

مقابلة

مقابلة ومنه قول العاشرة كثيرات المبارك قليلات المسارح ومثال
الوجه الثاني مقابلة وعث على رواية من رواه سهل وانما ضد الوعث
الصلب واللبد وضد السهل الوعر او الحزن وان كان فقد روي ايضا
بلبد وهذا ضد وعث فيكون طباقا حقيقيا ومن هذا الباب قول
ام زرع اشرب فاتقنح واكل فاتمنح فجانبت بالاكل والشرب لتقاربهما
وتناسبهما وكذلك قولها الشبعة وترويه وقولها ملء كسائها و
صفر ردائها فجانبت بالرداء والكساء لمناسبتهما وقول السادسة ان اكل
وان شرب وفي كلام هذه المراة اعني الاولى من الفصاحة وفنون البلاغة
نوع سادس من البديع وهو حسن التفسير وغرابة التقسيم وابداع
حمل اللفظ على اللفظ والمعنى على المعنى في المقابلة والترتيب وذلك في
قولها لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى فانها فسرت ما ذكرت
وبينت حقيقة ما شبهت وقسمت كل قسم على حياله وفصلت
كل فصل من مثاله وجاءت للفقرتين الاولتين بفقرتين مفسرتين
وقابلت لا سهل فيرتقى بقولها لا سمين فينتقى وهذا يسمى
المقابلة عند اهل النقد لنسبتها على رواية وقعت في النسائي
بتقديم السمين فيكون اول تفسير لاول معنى وهو قولها كلحم
جمل والثاني للثاني فحملت اللفظ على اللفظ وردت الفقرة الى المقدم
والمؤخر الى المؤخر فقابلت معاني كلماتها وترتيب الفاظها ومثاله
قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون على ما قدمناه
اول هنا المجموع ومثاله لانه مما يغني عن اعادته ولا اعلم في كلام
صواحبها له مثالا الا في التفسير قول الرابعة زوجي كليل تهامة
لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة فانها اجادت التفسير وحسنت
التعبير بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة كنت لك كابي زرع
لام زرع في الالفة والرفا لا في الفرقة والخلا من هذا او مما في كلام هذه
المراة من بديع البلاغة نوع سابع وهو التزام ما لا يلزم في سجعها و
وبعضهم يجعله احد انواع الترصيع في قولها فيرتقى فالتزمت التاء والقاف
في كل سجع قبل القافية وقافية سجعها الياء المقصورة وكذلك قولها في الرواية

الاخرى ينتقل وسوقل معا فيها اللام والتزمت قبلها القاف
وهذا نوع زيادة في تحسين الكلام وتماثله واغراق في جودة
تشابهه وتناسبه ولهذا ان الاسجاع والقوافي طلاوة وديباجة
يشهد الطبع ويجد الذوق وعليه المشابهة والمناسبة لا سيما
عند المقاطع وفصل الكلام وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا
واولع به المتاخرون وولعوا كثيرا من مجيد ومقصر وبالجملة فلا يحسن
منه ومن جميع ما محصنا القول عنده الا ما ساقه الطبع وقذف به الخاطر
دون تكلف ولا معاساة ووجد لفظه تابعا لمعناه منقاد له موضوعا
عليه غير متزعم له فيه ولا منافر له وقد جاء من مليح الالتزام في
كتاب الله تعالى في فواصله ومقاطع اياته ما لا شيء في الحسن والفصاحة
وقلة التكلف مثله لقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وقوله فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فاما اليتيم
فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وامرنا مترفيها ففسقوا فيها
وما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وقوله فاذا هم مبصرون
واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقوله كلا اذا بلغت
التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ
المساق في اشياء كثيرة والقران منزه عن ان يقال له مسجع او على
اسلوب من اساليب كلام العرب لكن الفاظه عربية وبلاغته جامعة لمحاسن
البلاغة معجزة بانفرادها على الصحيح موافقا لاهل الحق ومن الالتزام
كلام صواحبها فقول ام زرع واشرب فاتقنح واكل فاتمنح وقولها
في وصف ابنة الجزعة تروا بشره ثم البشرة وقولها ايضا وصف الخادم
في بعض الروايات ولا تعشش طعامنا تعشيشا ولا تملا بيتنا تعشيشا
وقولها رجلا سريا ركب شريا ثم ذكرت بعد ذلك مربا وقول
السابعة شجك او فلك او بجك او جمع كلا لك وقول السادسة
اقتفوا لتف واشتف وقول الثامنة ارنب زرنب فروي سجعها الباء
والتزمت قبلها حرفين الراء والنون وجاء في كلام التاسعة مالك و
ذا لك ثم ما لك وهو ما لك والتزمت اللام في اكثر سجعها وفي كلام الثالثة

اطلق واعلق ومذلق فالتزمت اللام المشددة قبل قاف سجعها
ومثل هذا الالتزام هو المحمود لما فيه من عدم الكلفة وفي قول هذه الاولى
ايضا نوع من باب البديع يسمى الايغال ويسميه قوم بالتبليغ وهو
ان يتم كلام الشاعر قبل البيت او الناثر قبل السجع ان كان كلامه
مسجعا او قبل الفصل والمقطع ان لم يكن كذلك فياتي بكلمة
لتمام قافية البيت والسجع او مقابلة الفصول والقطع تفيد معنى
زائدا كقول امرئ القيس ، كان عيون الوحش ، البيت وشبه
عيون الوحش بالجزع فتم قوله ثم قال الذي لم يثقب فزاده
كمالا وقول ذي الرمة رسوما كاخلاق الردا فتم ثم قال المهلهل
فافادا معنا فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل على
راس جبل لاكتفت ببعد مناله ومشقة الوصول اليه والزهد فيه
وهو غرضها لكنها زادت لسجعها غث ووعر معنيين سمن وبالغت
في القول فافادت بزيادتها انها في غاية الوصف فكان من هذا الباب
قوله تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فان التشبيه اكتفى
بقوله حمر مستنفرة واستهلى مستنفرة فلما قال فرت من قسورة
بالغ في وصفها بالنفار واوغل في الاغيا فيه بذلك ومنه قوله
تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقوله فجعلناه هباء منثورا
فان القديم ومنثورا افادا زيادة في الوصف بعد اكتفاء المعنى
بما تقدم قبل واستقلاله وفي قول الثانية سوى ما تقدم ذكرنا له
في كلامها وكلام الثانية والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام
وتشبيه اشارة الى الاستعارة بقولها اعلق فان الشيء المعلق
ليس بمطمئن الثبوت والقرار في السفل ولا في العلو وهو بين
الحالين ولهذا قيل علقت هذا الامر اي تركته مرددا بين الامضا
والترك وقيل للمراة اذا لم تكن مطلقة ولا مراعاة الصحبة معلقة لذلك
تشبيها لها بالشيء المعلق والاستعارة في الحقيقة نوع من التشبيه
الا انها قد انفصلت عنده في الصيغة واللفظ وقد فصل ابو الحسن الرماني
بينهما بان التشبيه له اداة بزيه حروف التشبيه ولا اداة للاستعارة

والخلو ما في الاخر ان الفرق بينهما غير هذا اذ قد يكون التشبيه باداة
وغير اداة ولكن التشبيه مبني على وضعه مع مثل به والاستعارة
منقول لغير موضعها مستعملة استعمالا غيرها للابانة وقد اشار الى
هذا الرماني ايضا وان الاستعارة باتفاق من اهل البلاغة ارفع درجات
البديع واعلا محاسن الشعر وانق منظر الكلام واعجبه فان البليغ
ولهذا موقع في الابانة لا يعمه سواها ومنزع في الايجاز والاختصار لا
يوجد في غير بابها فانظر ما بين قولك كثر شيب راسي وقوله تعالى
واشتعل الراس شيبا وبين قولك تذلل لهما وقوله واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وبين قولك انتشر ضوء الفجر حتى غابت النجوم وقول
ذي الرمة وساق الثريا في ملاءته الفجر وبين قولك فرس سابق الاوابد
حتى كانها مقيدة لم يسبقه ولا جرت معه حين جرى من قول امرئ القيس
قيد الاوابد وكذلك انظر قول التاسعة رفيع العماد على من جعله الحساب اين هو
في باب البلاغة من قولها لو قالت زوجي شريف وحسيب وانظر ايضا قولها
ابعن اتمن هو لك ومما يتخذ من المبالغة في كثرة نحره واستمرار عادته
وجلالة قصده من ذلك باستعارتها لهن البيتين وما بينه وبين قولها
لو قالت اذا ضرب المزهر نحرن وان كانت المعاني في هذا كله واحدة
والمقاصد متفقة ولكن للاستعارة فضل بيان وابلاغ وحسن طلاوة
وابداع وجودة اختصار في بعض المواضع وايجاز كما ورد في قول
الخامسة ان دخل فهد وان خرج اسد فانها استعارت له في كل واحدة
من الحالتين خلق واحد من هذين الحيوانين فجاء كلاهما على غاية من الايجاز
والاختصار ونهاية من المبالغة والبيان فان مثل قولها فهد واسد
اذا دخل تغافل وتنام واذا خرج صال وشجع وليس مقتضى هذا انه ابدا
في دخوله وخروجه بهذه الاوصاف فلما استعارت له خلقي هذين
السبعين في الحالتين الملازمتين له المختصين بوصفهما اعربت بذلك
عن تخلقه بهما والتزامه لوصفيهما وعبرت عن جميع ذلك كله بكلمة كلمة
كل واحدة من تلك الحروف وحسنة التركيب غير عسيرة مع جمالتهما في اللفظ
ومناسبتهما في الوزن وسهولتهما في النطق ثم جاءت باشارة بديعة عن

كرمه

45

كرمه وكثرة جوده وبذله لما بيده او للاخذ بالحزم لجميع اموره بقولها
ولا يرفع اليوم لغد فان هذا النوع من الاشارة وضرب من الكناية وهو عندي
ادخل في باب التتبيع والارداف وكله من باب الكنايات والاشارات وهو التعبير
عن الشيء باحد توابعه كما سنبينه واما كناية السادسة بقولها لا يولج
الكف على المذهب الصحيح فمن الكنايات الحسنة كما فسرناها قبل في شرح
كلامها وكذلك قولها واذا هجع الليل من هذا الباب وهو ادخل في باب
التتبيع والارداف لانها عبرت بقولها التفت واكتفت عن الاعراض
عنها وقلة الاشتغال بها او ذكرنا هنا ما في كلامها من مناسبة وملايمة
وطباق والتزام ومضارعة كما ذكرنا في كلام السابعة من ترصيع والتزام
مع ما فيه من حسن التقسيم وبديع الوحي والاشارة بقولها كل داء له
فهذا من لطيف الوحي والاشارة على مذهب قدامة بن جعفر وذلك انه
انطوى تحت هذه اللفظة كلام كثير واشتملت هذه الكلمة على شرح
كقول امرئ القيس يعطيك قبل سؤاله اذا سر جري فتحت قوله
اناسر جمله كثيرة واما على ما حكاه الحاتمي عن غيره فان الوحي والاشا
ارق وجوه الاستعارة كقوله جعل السيف بين الجيد منه وبين
سواد لحيته عذارا ومن باب الوحي والاشارة عندي على القول الاول
قوله تعالى قضي الامر وقوله تحسبون كل صيحة عليهم وقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله عز اسمه فغشيهم من
اليم ما غشيهم وهذه جمل ابانت بوجازة الفاظها واعربت بلطائف
اشاراتها عن معاني كثيرة وقصص طويلة فهي كما قيل البلاغة
لمحة دالة وفي قول الثامنة سوى ما ذكرنا من المناسبة والالتزام
صحة المقابلة وهي من انواع البلاغة وذلك في قولها واغلبه
والناس يغلب فقابلت غلبتها اياه بغلبته للناس وهي مطابقة
من جهة المعنى وفي هذه الفقرة نفسها نوع اخر من البديع يسمى التتميم
فانها لو اقتصرت على قولها واغلبه لما كان مدحا ولتخيل انه جبان
ضعيف فلما قالت والناس يغلب دل ان غلبتها اياه من حسن عشرته
وكرم سجاياه فتممت بهذه الكلمة قصدها وابانت جميل ما عندها

ومثله قوله تعالى كوني بردا وسلاما وقوله يخرج بيضاء من غير سوء ومثله
قول طرفة فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي • وفي
قوله التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من
البلاغة يسمى الارداف والتتبيع وهو من احلا وجوه البلاغة
وارق انفاس البديع وكذا من الايجاز والاختصار المحل الرفيع وهو
لاحق بابواب الاشارة والوحي والكناية وموضوعه ان يقصد الابانة
عن معنى فيترك اللفظ الخاص به الموضوع له ويعبر عنه بلفظ من
توابع معناه اللازمة واسبابه المتعلقة وارادفه المتضمنة وهو نوع
سميه البلغاء بالارداف وبعضهم بالتتبيع وفي الوصف والتعبير
معا بمجازه نوع من المبالغة ومنه قوله مدهامتان فانه عبر بهذه اللفظة
الواحدة الوجيزة والكلمة المفردة البليغة عن نعمة هذه الجنة ونضارة
ثمارها وريها وجمال منظرها وتمام حسن اشجارها ورونق نباتها بتابع
من توابعها وهي دهمة خضرتها التي لا تكون الا مع تناهي الري
وشباب النبات وعدم الافات وكذلك قوله تعالى في ذكر المسيح وامه
كانا ياكلان الطعام فعبر عن حدوثهما وابان عن حلول العوارض
البشرية بهما لحاجتهما الى اكل الطعام وكنى بذلك عما اشار الى ان من ياكل
الطعام يكون منه الحدث وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية
فتضمنت الاية الارداف والتتبيع والكناية والوحي والاشارة فان تحت
قوله ياكلان الطعام معاني عظيمة وفضول لا كثيرة ويجب ان يتحقق
ان الوحي والاشارة قد تتخلص بها احيانا مع الارداف والتتبيع
ومع الكناية كما في هذه الاية واحيانا يدخل في باب الاستعارة كقوله
قيد الاوابد في الابواب لتلك الاستعارة والوحي والاشارة والارداف
والتتبيع واحيانا ياتي الكناية والارداف كشيء واحد كما في هذه الاية
فانها يدخل في باب الوحي والاشارة وفي باب الكناية والتعريض وفي
باب الارداف والتتبيع وذلك ان وجه بلاغة هذه الابواب واحد وهو
المبالغة في الوصف والايجاز ولذلك يشاركها الاستعارة احيانا
فتامل هذه السبعة لتستفيد بها معنى ما تجده متفرقا ومختلفا

في كثير ارباب هذا الشان من تسمية بعضهم شيئا بغير ما تسمية به الاخر
وادخال بعضهم الاية او البيت في الباب الذي يدخلها الثاني وعلة ذلك
ما خالطه من تغليب احد الالقاب عليه لظهوره في واحد الابواب اكثر
من ظهوره في الاخر فكذلك قوله هذا طويل النجاد فان طول النجاد من
توابع الطول ولو ارده فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا وكذلك
قوله عظيم الرماد من توابع الكرم ورواد فه لانه لا يكثر رماده الا •
لكثرة وقوده بالنيران للضيفان وكذلك قوله قريب البيت من النادي
من التتبيع البديع ايضا اذ العادة انه لا ينزل قرب النادي الا المنتصب
للضيفان فكان ردفا لجوده وكرمه وكان قوله طويل النجاد اكمل وابلغ
من قوله طويلا اذ ثم طول دون طول فلما عبرت عنه بما هو من
توابعه بقولها طويل النجاد ابلغت في طولها وكانها اظهرت طوله
للسامع صورة يراها مع ما في هذه الصيغة من طلاوة اللفظ مع الايجاز
اذ لو ارادت تحقيق طوله المحدود لطال كلامها وكذلك العبارة بكثرة
النيران ونزول قرب النادي مبالغة في الوصف بالكرم وتحت هذه الالفاظ
الوجيزة جمل كثيرة اعربت الكنايات اللطيفة • والاشارات الحقيقة عنها
رتبتها في البلاغة والمبالغة من قولها لو قلت زوجي كريم كثير الضيفان او اكرم
الناس واكثرهم ضيفانا فان واحدا من هذه الاوصاف على كثرة الفاظها ومبالغة
اوصافها لا ينتهي منتهى واحد من قولها عظيم الرماد او قريب البيت من
النادي ومن هذا الباب قول العاشرة فكيف ان المسارح كثيرات المبارك
اذا سمعن صوت المزهر ايقن انهن هوالك على ان هذه قد امتد نفسها
في الوصف قليلا ولكن باحسن عبارة واملح استعارة والطف اشارة وليس
من شرط الارداف والتتبيع ان يكون موجزا للفظ ولكن قد ياتي احيانا لذلك
ولكن ياتي في الكلام على هذا النحو كيف ما جاء من الديباجة والحسن الا شيء
نفخه ومثله قول ام زرع اناس من حلي اذني فعبرت عن كثرة ما حلاها به
باحد توابعه وهو صوت حركته ولا يكون ذلك الا مع كثرته ولو قالت
حلى اذني لم تقع من المبالغة وحسن اللهجة موقع قولها اناس من حلي
اذني ومنه قولها اقول فلا اقبح وارقد فاتصبح واشرب فاتقمح وكل

فاتمنح فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملة من الكلام حسب ما قدمناه
فكنت عن العزة والكرامة عنده بانه لا تقبح قولها وهو رد فمن روادف
العزة لانه وفضل فضل لها ثابت فالتفت بذلك عما وراه وعبرت
عن ترفيهها عن المهنة واعفائها من الخدمة وكونها مكفية المؤنة
مدللة ذات خدم وسعة بنومها الصبحة اذ لا ينام بها بهذه الصفة
فاذا بانت عن رغد عيشها وكثرة نعمتها ووفور طعامها وشرابها
وفضلته عن حاجتها بقولها اتمنح واتقمح اذ لا يكون الري بعد
الري ولا تمنح المراة وتعطي مع وصفهن بالبخل الا مع كثرة الشي وتبعد
فضلته عن حاجتها ومن بديع هذا الباب قول ام زرع ملء كسائها
وصفر ردائها فعبرت عن امتلاء خلقها وتقسيم جسمها بين الرقة والغلظ
وكون كل عضو منها موفى حقه تابع من تقابعه وهو ملء الكسا وصفر
الرداء ثم جمعت كل ثنا وطوت كل مدح وادمجت كل حسن خلق وخلق تحت
لفظتين بقولها غيظ جارتها فهو من باب الارداف وان شئت من باب
الوحي والاشارة فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجاز كل مذهب واتت فيها
من البلاغة والمبالغة والعلو بكل معجزة من كلام ام زرع من البديع
مع حسن التسجيع وكذلك في كلام هذه النساء عامل كلهن حسان الاسجاع
متفقات الطباع عريات الابياع عن مستكرهات الالفاظ ولا مستلقفات
القوافي ولا ملفقات الفواصل لا سيما هذه التاسعة فلا شي اسلس من كلامها
ولا اربط من نظامها ولا اطبع من سجعها ولا ابعد عن طبعها وكانما
فقرها مفرغة في قالب واحد ومحذوة على مثال متوازن ثم مدت نفسها
في الفقرة الرابعة فاطالها شيئا استرواحا للخروج واشارة للقطع وهذا
حكم الاسجاع فانها تحتاج الى تقدير وتكره فيه التطويل فان وقع في اول
فقرة من الفقرتين كان عيبا وخرج عن حد البلاغة به الكلام وهو في
اخر الفقرتين غير معيب بل ربما جاء مستحسنا لا سيما اذا تواليت الفقر على
سجع واحد وجاءت على تقدير متعاضد فالخروج من اخرها بعين زيادة فيها
على تقدير اخواتها احسن في السجع واوقع في السمع وهذا ما لا ينكر حسن
الذوق في الكتابة ولا يجهله الا مطبوع الطبع في الخطابة واما تكرير ام زرع

اسم

اسم ابي زرع في كلامها وتصريحها به في اول فصولها فليس من عيب
الكلام ولا من باب التكرار لان التكرار المعيب انما يكون اذا كان في جملة
واحدة واما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها فليس بعيب ولكنه منه
ما يكون محتملا ومنه ما يكون حسنا من باب البلاغة كقولها ابو زرع
فان التصريح هنا ابلغ من الكناية لما فيه من التعظيم والتعجب كما قلنا في
العاشرة مالك وما مالك وقوله تعالى الحاقة ما الحاقة فقد تقدم
فيه ما اغنى وانما يقبح اذا كان على غير هذا الوجه وكان في جملة واحدة واما في
جمل مختلفة فليس بقبيح قال الله تعالى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وقد عد الحاتمي وغيره بعض هذا النوع من بديع البديع
وسماه الترديد وهو ان يعلق الشاعر لفظه في البيت والناثر في الفصل بمعنى
ثم يرددها فيه ويعلقها بمعنى اخر كقول زهير لبست ليلى مما لبس الليالي
فكر فلو ولبست وتابعه في ذلك الخفاجي وقال ان هذا الترديد كساير التاليف
قال الفقيه القاضي الاجل وفقه الله وسدده والذي عندي ان ما كان من
ذلك يضطر الكلام اليه ولا يتم المعنى الا به فهو على ما قاله الحاتمي
وهو يفيد الكلام حسنا ورونقا لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى نحو ما
ذكرناه من المثال ومثله قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وما كان منه على غير ذلك
فكان من جملة او جملتين كقول الفرزدق لعمرك ما معن بتارك حقه ولا
منسئ معن ولا متيسر وقول الاخر لا ارى الموت يسبق الموت شي نغص
الموت ذا الغنى والحليما وقول امرؤ القيس الا انى بال على جمل بال يقود
بنا بال ويتبعنا بال فغير مستحسن بل هو قبيح الا ان ياتي للتعظيم
كقوله الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وعليه حمل
بعضهم ما تكرر في البيتين الاولين من ذكر معن والموت او للتاكيد
كقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا على قول بعضهم و
كتكراره صلى الله عليه وسلم كثيرا من كلامه او للبيان كقوله تعالى الذي
خلق خلق الانسان من علق وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم او يكون تكرارا لكن اللفظ مما يستلذه الناطق به كما قال و

غير هذا

وبالافواه اسما وهو يحلو • وقد قال المعري في قول الشاعر • الاحبذا
هند وارض بها هند وهند اتى من دونها الناي والبعد فقال من حبه
لهذه المراة لم يزد تكريرا اسمها عجبا فهو يجد للفظ بها حلاوة فام
زرع في تكرارها اسمه في فصول كلامها مصرحة بها غير مضمرة له ولا
مكتنفية بما تقدم من اظهاره اما العظمة في نفسها وبارة هاده وفخرها
او للحلاوة ذكره في فمها ومكانته من قلبها بدليل اخر الحديث
اولابانة وصفها وكشفا للبس في قصصها لانها الوقت امته
او جاريته وطهارته ومما له وصيفه على ما ورد في بعض الطرق
حتى كلبه فقد ذكر ابن الانباري وابو القسم البغوي من رواية هشام
بن عمار عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله
عن عروة انه قال وقد كانت عائشة وصفت لي كابي زرع فاستبه
فلو ذكرت ام زرع هذه الاسما مضافة لعد وصفها لابنه لادخلت
الابهام بينه وبين ابنه فكان قولها بنت ابي زرع جارية ابي زرع صرح
ابو زرع اجلى في الوصف اسما مع ان تكرار ذكره انما هو في ابتدا جملة
واستيناف قصة فهو غير قبيح واما تكرارها في اول كل قصة اسمه
مرة اخرى في قولها فما ابن ابي زرع فما جارية ابي زرع فقد تقدم
انه بمعنى التعجب والتعظيم وان الوجه فيه الاظهار وهو الفصيح لانه
المقصد والغرض من التنويه وفي الاضمار اخفاء وتمويه هنا انتهى
بنا القول فيما حررناه من الكلام في هذا الحديث وقد احتوى
على جمل من فنون العلم حسان وفقر من ضروب الادب غراب وخرجنا
فيه نحو عشرين مسئلة من الفقه ومثلها من العربية مع كثرة ما ذكرنا
فيه من كلام الشارحين واصحاب المعاني وترجيح الصواب ونقليد
كثير مما لم يتقدم فيه كلام بلغه علمي وانتهى اليه ذكري واقتصرت
في اكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكريها من مقانع هذا
العلم واستغنيت بذلك عن الشاهد الا في النادر حرصا على الاختصار
واكتفاء بنقله ولكن لعدوة اذهم المقلدون في ذلك وذكرت الشواهد
في المعاني تمهيدا لها واظهارا لوجوهها وحجة على صحة تاويلاتها

لاستراك الخواطر فيها ونوادر العقول لعليها وحررت في هذا الفصل
الاخير من علم البلاغة واستنشرت ما في كلامهن من سر الفصاحة
وعيب النقد وبديع الكلام ما فيه غنية لمتامله ممن
شدا في باب الادب شيا وتطلع لان يعلم صناعة بالبغا الكلام
وتفهم منازع ارباب هذا الشان وعلى الله جل اسمه الاعتماد في
العفو عن الزلل والرغبة في غفران المباهاه في القول
والعمل فهو جل اسمه وفي مولى الرحمة وموفي شكر
النعمة لا اله غيره وصلواته على مصطفاه من خلقه
محمد نبيه وعلى اله وسلامه كثيرا تم
الكتاب والحمد لله حق حمده
وصلواته على خير خلقه
محمد عبده ورسوله واهله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا
وحسبنا الله
ونعم الوكيل
نعم المولى
ونعم
النصير



